

برلمان الحریم مجموعۃ قصصیة

تألیف
فاطمة مصطفى



<http://gate.dar-elmarf.com>

**تصميم الغلاف:
هاجر محمود**

**تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف**

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg
<http://gate.dar.elmarf.com>

إهداء

إلى كل القيم الجميلة التي انزوت أمام وطأة الهجوم الهائل من
المتغيرات الغربية الواردة إلينا من مجتمعات غربية أؤكد عليها أن تثبت
ولا تتواري.. فنحن في أمس الحاجة إليها لنعيد التوازن المفقود إلى عالمنا
المتغير بسرعة الصاروخ

المؤلفة

فاطمة مصطفى

المقدمة

يتسلل الكاتب أو الأديب إلى تفاصيل شخصيات رواياته فيضع فيها إيماناته بكل المبادئ والقيم والأخلاقيات التي يعتنقها ويصيفها على لسان شخصه في كلماتهم.. تنهيداتهم.. معاناتهم.. أفراحهم وسعادتهم.

فالكاتب أو الأديب يلعب دورًا كبيرًا في كشف مكانم الخطر والقاء الضوء على زوايا وجوانب داخل نسيج المجتمع من سلبيات وإيجابيات يقدمها إلى القارئ في خيوط متماسكة يوضح بها رؤيته وانفعاله بوجهات نظر الناس وتواصله معهم ويضعهم في خيارات تتناسب مع طبائعهم المختلفة.

ولهذا ما يترأى أمام عين الأديب أو الكاتب من التفاصيل الدقيقة بل والهامشية في حياة البشر بعينيه الثاقبتين والتي تمر مرور الكرام أمام أعين العامة من البشر وكأن شيئًا لم يحدث، ويسقط الفعل أو الحدث في زاوية مظلمة من النفس البشرية.. وتعم النسيئة والهدوء. وبالرغم من كل الأحداث المتلاحقة التي ينفعل بها الجميع في وقتها فإن البشر يعودون سريعًا إلى سجيئهم الأولى، يعيشون تفاصيلهم الحياتية في هدوء وسكينة.

أما الكاتب أو الأديب فيتولد عن رؤيته الثاقبة للأحداث نتاج هو في مجموعة حكايات أو مقالات يقدمها إلى القارئ بوعى وعمق، هي في

حقيقتها تمثل الواقع الذى يعيشونه والمستمد من تجاربهم ومعاناتهم.. ومشاكلهم.. وتجاربهم ولحظات ضعفهم واستسلامهم.. أو حتى لحظات الرفض والتمرد والعصيان.

ولا يعنى هذا.. أن الأديب أو الكاتب تقف إرادته عند حد الرصد والمراقبة فقط.. بل تتداخل رؤيته وقيمه الشخصية وأخلاقياته الخاصة فى تفاعل حى.. وتجانس فعال مع تلك التفاصيل التى تتراكم فى ذاكرته وعقله.. يختزنها.. ثم يترجم بقلمه صوراً حية نابضة.. يسعى معها جاهداً لتغيير مفاهيم وقواعد وقيم مستفزة سلبية، ليؤكد بذلك أخلاقياتنا المتوارثة وقيمنا الجميلة من جيل إلى جيل.. يلح بها علينا ليذكرنا بها.

ولقد حاولت فى مجموعتى القصصية «برلمان الحریم» تقديم بعض الصور واللقطات التى تركت انطباعاً داخل نفسى. طرحتها فى حكايات بعضها ساخرة.. ولدى إيمان بأن يعيد القارئ النظر فى نظرتة للأمور وأسلوب حياته.. إذا ما تراءى أمامه شريط من التفاصيل الحياتية التى يرتكبها بقصد أو غير قصد منه فربما أنجح فى تغيير بعض من سلبيات ترتكب بشكل يومى.

ملمس الحرير

انقبضت روحها.. وأحست بأن الحياة تتسرب من جسدها فى طريقها إلى الفناء.. شعرت بأن الصقيع تسلل إلى كيائها كله.. داهمتها تلك الأحاسيس فى لحظة فجائية.

وجدت نشوى نفسها وتلك الشاعر المتباينة تحيط بها.. تضغط على أنفاسها.. تضيق عليها الخناق.. فلا تجد متنفساً للفرار أو الهروب.. كانت لحظة مواجهة عنيفة مع النفس والضمير.. ذلك الرقيب الساهر الذى لا يمل من إعطائها إشارات فى غضبه أو رضاه. ساد سكون قاتل. إلا من دقات قلبها المتلاحقة التى تعالت أصواتها.. فأصبحت ضجيجاً.. مفزعاً.

اهتز جسدها بشدة.. وارتعشت أوصالها.. حاولت تجنب تلك المواجهة وجها لوجه مع ذلك الضمير.. ذلك القابع المعترض.. المترصد لتلك المواجهة.

سقطت دمعتان من عينيها.. تطويان فى لهيبهما على خديها حرقاً نفسها ولوعتها.. ويعبران عن ضعفها.

آه.. رددت نشوى.. وتنهدت بألم من أعماق نفسها.. فاختلطت أحاسيسها بانفعالات شتى.. تضاربت وتصارعت بداخل روحها.. ضمت بين ثناياها.. كل ما تشعر به من حنق وضيق.. وأيضاً سعادة لا حدود لها. أطلت تلك الشاعر.. واحتوتها وهى تستعيد فى عقلها.. دفء اللحظات التى جمعتها بعشقها وحبيب عمرها «حازم».

قالت.. تردد لنفسها.. كم أشتاق إليها.. وكم؟؟.. أتتفلسفها.. لقد عرفت معها وأنا بين أحضانها.. ما هي الحياة.. أيامى !! ما مضى منها وما هو.. آت !!

اختفت كل الأشياء من حولها.. فلم يبق فى الذاكرة والوعى سوى لمسات أيديها.. هى وحازم.. ولقاء شفاههما فى لغة يعجز الشعراء والأدباء عن وصفها بتلك الدقة والحميمية والدقة.. فما تحس به عند رؤيتها لحبيبها.. أجمل من أى معنى تعبر عنه كلمة فى قاموس الغزل والعشق والحب على مر التاريخ.

ظلت نشوى داخل تخيلاتها لتلك اللحظات التى يذوبان فى بحرهما يغوصان فيه ويزوقان منه طعم العسل وحلاوة الشهيد.. وفجأة.. تسلل العقل إليها فى ومضات كالبريق.. أيقظها من غفلتها أعادها إلى وعيها.. وكأنما أراد أن يذكرها بوجوده.

انهمرت الدموع من عينيها.. تدفقت كسيل جارف رافضة أن تتوقف عن مسيرتها فى التعبير عن حرقه بكاء هاتين العينين.

تكوّمت نشوى وظلت ساكنة فى مكانها.. بلا حراك.. لاتدرى كم مر عليها من الوقت.. فكرها شارد.. حائر.. وحوار طويل يدور بنفسها.

قالت.. تردد: ما أشتاقنى أيها العقل.. ففى لحظات تواجدك.. أتضاءل.. أنكمش أمام كيانى.. أبحث بداخلى.. فلا أجد سوى الخواء والفراغ.. أحاول استدعاء قواى.. فى لحظة تمردى عليك.. لا أعثر عليها.. لا أجد إرادتى مع كل محاولة لى بالهروب منك أو الفرار.. وأجد نفسى فى لقائى بحازم.. أنعم بدفع اللحظات.. أستمتع بدغدغتها.. وهدهدتها لى كطفل ألقى بجسده بين ذراعى أمه ينعم بحنانها وعطفها.

إن حبى لحازم.. هو فرصتى الأخيرة فى الحصول على السعادة..
ذلك المعنى الذى تاه عنى طويلاً فى سراديب وأوهام.. تخبطت بدروبها
وعدت منها بخفى حنين.. خالية اليدين.. كسيرة القلب والمشاعر.
استرسلت نشوى فى حديثها لنفسها وحزن عميق يستوعب
كيانها.. ويملاً قلبها. قالت تردد.. أنا على يقين بفداحة خطيئتي..
ولكنى استرددت معها عمرى الضائع.. وأيامى التى مرت بلا فرحة..
بلا معنى.. بلا معالم.

أطل من أعماقها إحساس هائل بالخطيئة.. اندفع من روحها إلى
سلوكها الخارجى.. فأخذت تدور حول نفسها داخل حجرتها.. فى
حركات عصبية وانفعال بالغ.

حاولت التماسك.. ولكن باءت محاولاتها بالفشل.. ألقت بنفسها
على أقرب أريكة بحجرتها.. وكأنها تلقى بنفسها من مكان مرتفع
للتخلص من أعبائها ومشاكلها.

تكومت نشوى بحضن الأريكة.. كقطعة صغيرة.. تتمسح بجدار تبحث
إلى جواره بالحماية من الظلمة التى تحيط بها.. وسرحت بفكرها إلى
سنوات عمرها الماضية.. وكيف تعاملت معها.. وكم قاومت عواصفها
وجموحها ومشاعرها وكيف تجاهلت عنفوانها ورغباتها.. أدركت قسوة
سلوكها مع قلبها ومشاعرها وارغامها لهما بالاستسلام لمشيئتها هي..
ولعقلها فلا مجال لثورة أو تمرد على المنطق والعقل.

تمتعت لنفسها.. بصوت هادئ.. قائلة.. لقد وجدت نفسى أخيراً..
لقد نزعنت قيودى، استسلمت لقلبى.. تمردت على جمودى انتصرت

لمشاعري وأحاسيسي.. عثرت على سعادتي.. منذ لقائي بحازم..
استعدت أيامي الضائعة.. ولن أتركها تفر من بين يدي.

تدفقت بشائر الفرحة على وجهها.. فظهرت في ابتسامتها المتألقة
على شففتيها النضرتين.. وتوزد وجهها بحمرة الحياة والحيوية..
فتحولت إلى لوحة حية للجمال في أروع صورة.. جمال حي نابض
بالحياة.

تحسنت نشوى مشاعرها.. فشعرت «بلمس الحرير» في رقته
وجماله ونعومته.

تعايشت تلك الأحاسيس المختلفة ما بين الرفض والإيجاب، تتجول
داخل نفس نشوى وروحها.. تقهرها حيناً.. وتقلب هي عليها حيناً
آخر.

فأصبحت توائمًا لروحها.. يتحاوران.. يغضبان ثم يتصالحان..
صراع.. ووفاق.. تباعد وتقارب.. ولكن ظل شيء وحيد باقياً من كل
الحالات.. دقات قلبها التي تنبض.. وتغنى وتدندن باسمه.. «حازم»
الحب الذي جاء بعد ظمأ وجفاء وعزلة.. يربت ويحنو ويمنح عطاء
متدفقاً.. يحتويها.. يحتويها.. ويستوعبها.

أحسبت نشوى وهي جالسة على أريكتها بروحها ترفرف.. وبقلبها
تتزايد ضرباته وبسعادة بالغة لا تعلم مصدرها.. أحسبت بعدها بهدوء
نفسى يتسلل إلى روحها المتعبة.

دق جرس الباب.. أسرع نحو.. وجدته أمامها.. حازم.. أحسبت
بأنفاسه تحمل لفحات شوقه إليها.. اندفعت إليه التقت العيون..

تلامست الأيدي.. أحست بدنياها تطوقها بذراعين حانيتين.. تداعت
كل حصون الرفض بداخلها.. هوت في مكان سحيق.. ألقت بنفسها
بين أحضانها.. تستمد من أنفاسه الحياة.. فتحول المكان بنسمات
هوائهما وعشقهما إلى حديقة يانعة.. يتناثر بها عبق الورد.. وزهور
الأمل والتفاؤل والسعادة، قال لها.. لا أحيا وأنت بعيدة عني.. قالت
له.. بدونك لا عمر لي.

نظر في عينيها الجميلتين.. وقال لها في صوت مغمم بحب وشغف
شديد.

تتزوجيني!!!



وكانت الأولى

كانت السماء تمتد على طول النظر.. بزرقتهما الصافية فتبعث في النفس إحساسًا هائلًا بالطهر والنقاء والصدق.. وترسم النجوم المتناثرة كحبات اللؤلؤ لوحة فنية قلما تجود يد فنان يرسمها بتلك الدقة والجمال والروعة. أحس أحمد بأنه يستنشق هواءً نقيًا.. وأن قلبه يسع العالم كله.. وأن روحه تخلصت من همومها.. وكأنه ألقى على اليابسة بها قبل أن يصعد على تلك السفينة ويبدأ رحلته إلى أوروبا للنسيان وتغيير الأجواء الكئيبة التي عاشها لسنتين كاملتين والتي انتهت بزيجة فاشلة.. اعتقد معها أن حياته انتهت.. وأن السعادة ولّت منه إلى غير رجعة.. وأن أيامه المقبلة سيعيشها لأن ما زال له بقية في العمر في تلك الدنيا!!

استعاد أحمد في لحظة ذكريات الأيام الماضية.. والتي اتخذ قرارًا بالقيام بتلك الرحلة للتخلص منها.. ولكنها مازالت تطارده، تلح عليه.. تؤرقه.. تسرق لحظات الهناء من عمره وأيامه!!

أحس أحمد بألم موجع يضغط على أنفاسه وأعصابه وامتنعت ملامحه في غضب مكبوت ظل حبيسا بين ضلوعه طويلا.. قال يحدث نفسه:

ألا أستطيع الفرار من أيامي.. ألا توجد وسيلة للهروب. نظر بعينين متعبتين إلى السماء الصافية والبحر بزرقته المنعشة فتسلل إليه شعور براحة وقتية.. فمنحته قدرًا بسيطًا من الإحساس بالأمان.

كان الفجر يتسلل بنوره المتألق وشعاعه المنبعث بجناحيه على الدنيا
يضي على صفحة البحر تالفاً وبريقاً يزيد روعة وجمالاً.

بدأ رواد السفينة يتوافدون الواحد تلو الآخر صعوداً إلى سطح السفينة
ليستمتعوا بمشاهدة ذلك المنظر الخلاب.. حتى امتلأ سطح السفينة
بأعداد كبيرة منهم.. فقد حرص كل المسافرين على رؤية ذلك المنظر
الذي لا يجب أن يفوتهم رؤيته بأى شكل من الأشكال.

حاول أحمد أن يشغل نفسه بالتمتع بهذا المنظر الخلاب.. وكذلك
متابعة رواد السفينة.. تصرفاتهم وانطلاقهم وسلوكهم الغريب منها
والعجيب.. وظل فترة من الزمن وهو يتنقل بناظره من شخص إلى
آخر.. ومن جانب إلى زاوية ثانية.

وفجأة.. انشقت ظهر السفينة عن حورية حسناء.. كانت عيناها
نجالوين ملونة بلون العسل الصافي.. وجمالها مبهر يوحى لكل إنسان
بأن يصبح شاعراً كاتباً يتعبد فى محراب روعتها.. وعمقها.. ولون
البشرة ناصع البياض مشرب بحمرة طبيعية وفورة صحية.. وجهها فى
استدارة القمر.. تحوطه هالة من الشعر الأصفر المسترسل.

فكانت فى مجملها.. وكأنها ملاك نزل فى زيارة مؤقتة إلى الأرض..
ليبعث الجمال والفتنة والنشوة فى النفوس ويبعث الأمل والأمنيات فى
القلوب.

كان أحمد يدقق النظر بعمق فى ذلك الوجه الرائع الجمال.. وذلك
الجمال النادر.

جلست الفتاة فى الطرف الآخر للسفينة على بعد عدة أمتار منه
ولكنه كان يحاول تدقيق النظر فى تفاصيل هذا الجمال.. وعندما يؤس

من رؤيتها بشكل واضح.. قرر الاقتراب منها.. لينعم بهذا الجمال النادر
والذى شعر أمامه.. بأنه مكبل بالأغلال والقيود.. تسمرت قدماه فى
مكانهما.. وكأنه يؤدى صلاة خاصة فى محراب.. وانطلقت روحه فى
حرية إلى أفق غير محدد.

ظل مشدودًا إلى هذا الكائن الملائكى.. وكأنه منوم تنويمًا مغناطيسيًا..
فقد إرادته فجأة.. فأصبح فى يد ذلك الكيان الذى امتلك عليه كل
حواسه واهتمامه.

اقترب أحمد بخطواته ببطء فى اتجاه الفتاة الجميلة.. حيث تجلس
فى آخر السفينة.. وعندما أصبح على قيد أنملة منها.. كانت تنتظره
مفاجأة كبرى.. كان لها وقع سيئ إلى أقصى حد على نفسه.

كانت الفتاة كسيحة قميدة كرسى متحرك.. اقترب منها بخطوات،
قلبه وعيناه مركزتان على ذلك الوجه.. كان خاليًا. من الروح.. أشبه
بوردة جميلة أصابها الذبول.. وكأنها تم قطفها من على غصنها ليلقى
بها على الأرض فأصابها العطب.

استمر أحمد يراقبها بدقة.. يتابع تعبيراتها وملامحها لم يدر كم من
الوقت مر عليه وهو فى هذا الوضع المترقب.. ولكن تيقن أن ذلك الكيان
فاقد لمعنى الحياة! بل إن الحياة تسللت من تلك الروح.. وتركت
الجسد هائمًا وحيدًا.. فأصبحت العزلة هى كل محيطه ودنياه!

تساءل أحمد بينه وبين نفسه.. من ذلك الرجل العجوز الذى يرافقها؟..
ومن هى تلك الفتاة المسكينة الذى أحس ناحيتها باهتمام بالغ.. وكأنه
وجد فى هذه الحياة لخدمتها ورعايتها حتى آخر يوم فى عمره!

تزامنت الأسئلة حول عقله وفكره وكيانه كله.. تطالبه بضرورة البحث عن إجابة شافية لهذه التساؤلات.

لم يؤجل أحمد قراره.. فقد صمم على التعرف إلى هذه الأسرة الصغيرة المكونة من الفتاة والرجل العجوز!

قال فى صوت حاول أن يكون طبيعياً بعد أن اقترب خطوات قليلة منها حاول ألا يحمل نبرات التساؤل والفضول - «صباح الخير» موجهًا حديثه إلى الرجل العجوز المرافق للجمال المنكسر.

رد العجوز بترحاب شديد وكأنه متلهف على التعرف إلى أى شخص لإحساسه بالعزلة والوحشة وسط هذا الخضم.
صباح الخير يا بنى.

استطرد أحمد الحديث قائلاً.. الجو اليوم رائع.. وصاف يعطى إحساسًا هائلاً بالأمل والاطمئنان.

أجاب العجوز.. بالفعل.. الجو صاف.. والبحر أمواجه هادئة.. ستكون رحلتنا على هذه السفينة رائعة إن شاء الله.

قالها الرجل بإيمان عميق.. مما يعطى انطباعًا قويًا عن تلك الشخصية.. وأضاف أحمد قائلاً.. إن الإنسان يحتاج إلى التغيير من وقت لآخر.. إن رؤية وجوه جديدة وأناس مختلفين ومشاهدة بلدان ومناظر جديدة.. تقتلع ملامح الكآبة من داخل النفوس.. وتعيد للنفوس نشاطاتها وحيويتها.. وربما يخلقها من جديد!

آمل ذلك..، يا بنى..، قالها العجوز فى صبر وتؤدة وهو يتنهد تنهيدة أطلت من أعماقة تعبر بصدق عن معاناة شديدة.. ساد الصمت بينهما لحظات قليلة.. ظل أحمد فيها شاخصًا النظر إلى وجه العجوز محاولاً

قراءة ماذا وراء تلك الابتسامة الباهتة على وجه الرجل العجوز؟ وما هي حكاية الفتاة الجميلة الجالسة بجواره؟

واستطرد لمواصلة حديثه مع العجوز.. هل هي ابنتك؟.. مشيرًا إلى الفتاة الجميلة الذى تعلق بها فؤاده دون شرط أو قيد.

نعم يا ولدى.. إنها بثينة.. ابنتى الوحيدة الذى رزقنى الله بها وبعد طول انتظار وعوضنى بها عن غياب أمها التى توفيت فور ولادتها.

وأكمل قائلاً: إنها ابنتى وأمى.. وصديقتى وحببة القلب وقرة العين.. وأنيستى فى تلك الدنيا.. بدونها لا وجود لى ولا حياة.. وسقطت دمعتان على خديه لم يستطع التحكم فيهما أو منعهما من النزول.. فأدار وجهه مسرعاً.. ليخفى ضعفه المفاجئ أمام مستمعه.

امتدت يد أحمد نحو الرجل العجوز.. يربست بهما على كتفه فى حنان بالغ.. وعطف صادق.

ثم قال له.. فى حنان.. ماذا بك؟.

أشياء كثيرة يا بنى.. الأسرار يعلمها الله.. إنك ترى جزءاً بسيطاً من معاناتى. ابنتى الوحيدة.. وأمسك لسانه.. حتى لا يتراعى إلى الفتاة كلمة تجرحها أو تضايقها.

مشيرًا إليها فى صمت دون أن تلاحظ هى ذلك.. فقد كان صوته أشبه بالهمس.. ونبراتة متهاكة متخاذلة.

قال أحمد فى عطف كبير.. إن لكل مشكلة حلاً.. طالما الأمل موجود.. ورحمة ربنا بالعباد كبيرة.

ونعم بالله!! نطق بها العجوز فى ثقة وإيمان كبيرين.

ألقي أحمد نظرة على الفتاة التي تجلس على بعد خطوات قليلة منه على كرسيها المتحرك.. والذي يغار البهاء من جمالها الفاتن ورقتها الواضحة وهدهودها الذي يشبه النسمة العليلية في ليلة صيف حار ورطب. قالها موجهاً حديثه إلى والدها.

لماذا لا تشاركنا الآنسة بثينة الحوار؟.. وما هي حكايتها؟.

يا بنى.. حكاية ابنتى.. طويلة.. انتهت بما تراه الآن.. جسد بلا روح.. فقدت ارتباطها بالحياة.. تعيش حياة كالعدم بلا رغبة فى أن تحياها.. بلا أمل.. أو رغبة أو حماس لأى شىء.. وتنهد الرجل العجوز.. ونظر بعمق فى عيني أحمد.. ووضع يديه المرتعشتين على كتفيه.. وقال فى صوت أبوى حقيقى.. لماذا أشعر يا بنى.. بثقة كبيرة فيك.. ولماذا أحكى لك.. وأفتح قلبي وكأننى أعرفك منذ زمن طويل !! وأكمل.. ربما لأن الصدفة هى التى جمعتنا.. وقد لا يرى بعضنا بعضاً مرة أخرى بعد انتهاء هذه الرحلة؟.. أم أن الله أرسلك فى طريقنا لتشاركنا ذلك الحزن الكبير.

مهما تكن الأسباب.. قال أحمد بحب شديد.. فإنى أشعر بأنى أصبحت جزءاً منكما.. وأعدك من الآن سأصبح رهناً لإشارتك وابنتك !! قال العجوز ربما أراد الله يا بنى.. أن يساعدنى فى محنتى وشيخوختى ومصيبتى تلك فى ابنتى الوحيدة.

قال أحمد.. ولكنك لم تخبرنى حتى الآن.. ماذا أصابها؟.

كاد الرجل العجوز أن يبدأ فى سرد حكايتها.. ولكن تمللت بثينة فجأة فى مقعدها.. وكان ذلك مؤشر رغبتها فى الانتقال إلى كбинتها..

فهى دائماً ما تفضل الوحدة وتقضى أغلب أوقاتها بعيدة عن الناس منعزلة عنهم.

استأذن والدها من أحمد للانصراف.. ولكن على وعد بقاء فى المساء.. كى يتناولوا معاً طعام العشاء.

شعر أحمد.. بدوامة من القلق والألم تبتلعه.. وبرغبة حقيقية نابعة من القلب أن يمد يده لمساعدة تلك الفتاة.. وبإحساس كبير بالمسئولية تجاهها.

تدفقت التساؤلات تلح عليه.. تدفعه دفعا لمعرفة ماذا أصابها؟. قال يحدث نفسه.. أمثل هذا الجمال يعانى الشقاء والألم؟.. من الذى تجرأ على إيذاء تلك الرقة؟..

ظل ينتقل من مكان إلى آخر داخل الباخرة كالتائه دون أن يدري غايته أو هدفه.. سوى انتظار ميعاد العشاء لمقابلة والد فتاته.. وإجلاء الغموض الذى يحيط بها.. ومعرفة ماذا أصابها؟.

جلس أحمد على إحدى الموائد.. يتناول شرابا لتضييع الوقت حتى يجيء ميعاده المرتقب.. وأثناء ذلك دار حوار طويل.. مع نفسه وجدال حاد. ماذا حدث لى.. سأل نفسه.. منذ أن وقعت عيناي على تلك الفتاة أحسست بدماء الحياة تتدفق فى عروقى وشرائينى من جديد وبأن شيئا مجهولا يدفعنى بشدة وبإصرار لطريقها.. وكأنها قدرى.

لقد اعتقدت بعد فشلى فى زواجى وحبى أن هذا القلب سيعترض ويتمرد.. ويرفض العودة نهائيا أو الاستجابة لهذا النوع من المشاعر.. وأنه لن يرتبط بامرأة قط مهما كانت الدوافع أو الأسباب.

وأكمل حديثه لنفسه. قائلاً.. مستحيل أن يحدث ذلك فى لحظة مباغتة.. إن كيانى كله يريدّها.. ومستعد لفعل أى شىء من أجل سعادتها وهنائها وإعادة الأمل إلى دنياها من جديد.

ويستطرد قائلاً فى حديثه الصامت مع نفسه.. هل القلب يدق أكثر من مرة.. أم هذا هو الحب الحقيقى؟ وفيما عداه بروفة.. أو تجربة.. لماذا أشعر بأنى مقبل على فرحة عمرى.

تعلقت عيناه فى قلق واضح على الساعة المعلقة على جدار الباخرة.. كانت الساعة تقترب من الثامنة.

كانت دقائق قلبه تنبض مع عقاربها.. تنشد السعادة برؤية الفتاة التى استولت على كيانه كله.. وكأنه سيزف إلى عروسه التى يحبها ويشغف بها.

أخذ يتجول بعينه فى المكان.. وقد بدأ الزحام يشد وإقبال رواد المطعم يتزايد.. لمح الرجل العجوز مقبلاً ناحيته وهو يمسك بأطراف الكرسى المتحرك يحرك ابنته أمامه وهى جالسة عليه.. ولكن وجهه كان أكثر إشراقاً عما رآه فى الصباح.

انتظر أحمد قليلاً حتى يتخذ مجلساً على أحد الموائد ثم اقترب منهما ألقى عليهما تحية المساء.

هلل العجوز فرحاً برؤيته لأحمد.. قائلاً له.. اتفضل تناول العشاء معنا.. الصحبة مسلية.

وجلس أحمد على الكرسى المجاور لبثينة.. وظلت عيناه معلقة بوجهها الجميل على رغم أحزانها التى لا يعرف حتى الآن مصدرها..

وابتسامة فرحة تطل مزغردة على وجهه وعينييه بوجودها بجواره حتى ولو لم تشاركه الحديث أو حتى الإحساس.

تناول الثلاثة العشاء فيما أشبه بالصمت إلا من بضع كلمات قليلة كان الرجلان يتبادلانها بين حين وآخر.. ومع الوقت بدأ الزحام يقل بالمكان.. وانصرف رواد المطعم بالتدريج.

وقام الثلاثة بعد أن قرروا التوجه إلى إحدى صالات الباخرة حيث تعزف فرقة غناء شرقية.. وقد أشار العجوز لأحمد بأن ابنته بثينة تحب هذا النوع من الأغاني الشرقية.

وقرر أحمد بينه وبين نفسه أن يستغل تلك الفرصة المتاحة له.. لينفرد بوالد فتاته.. ليتعرف إلى الأسباب التي أدت بها تلك الحالة.

وأثناء انشغال بثينة بالاستماع إلى الأغاني التي تعشقها.. تسلل الرجلان من المكان خارجين إلى سطح الباخرة.. وعلى الفور بادر أحمد الرجل العجوز قائلاً له.. إن بى فضولاً كبيراً لمعرفة ما الذى أدى بالآنسة بثينة إلى ما هى عليه؟.. وما هو مرضها بالضبط؟.. فهى لا تتحرك.. ولا تتكلم.. منفصلة عن العالم الخارجى.. لا تحيا مع البشر.. وأضاف فى اهتمام بالغ قائلاً لوالدها.. إنى أحب ابنتك حباً كبيراً وأشعر بقربها إلى نفسى وكأنها جزء منى.

فسر لى ما بها.. إنى أريد بشدة مساعدتها.. وإخراجها مما هى فيه. يابنى.. إن ابنتى فى حاجة إلى معجزة إلهية.. فهى لا تعانى من مرض عضوى.. إنها ترفض الحياة وتنسحب منها برغبة حقيقية.. إنها تريد الموت.. وتسعى إليه فهل ترى أن بوسعنا علاجها.. أو إخراجها

من هذه الحالة.. إلا برغبتها هي.. وأنت ترى بعينيك أنها فقدت حماسها ورغبتها وارتباطها للحياة.

كبار الأطباء النفسيين الذين عُرضت عليهم فشلوا فى الوصول بها إلى بر الأمان.. وعلاجها من حالة الاكتئاب الحاد التى تعاني منه !!

كل ما نصح به الأطباء اقتراحهم بالقيام بتلك الرحلة.. فربما رؤيتها لأماكن جديدة.. وناس جدد.. يساعدها على الخروج من هذا المأزق.

سأل أحمد وما هى الأسباب التى أدت إلى بها إلى تلك الحالة؟.. .
قال العجوز.. إن لدى نفس الرغبة فى الإفضاء عن الهموم المتراكمة على صدرى.. والتى أصبحت حملاً ثقيلاً.. لم أعد أقوى على حمله بمفردى !!

منذ سنة جاءتنى ابنتى.. وهى تقفز بوجه متهلل من البشر والسعادة.. حتى شعرت بأنها تطير.. لا تقف على الأرض.. احتضنتنى بشدة حتى سمعت دقات قلبها تزغرد فى صدرها.

سألتها.. ما سر هذه السعادة؟.

قالت لى.. أبى إننى أحب.. وهو يريد أن يقابل حضرتك علشان نتزوج.. رددت بفرحة أب ينتظر أن يرى ابنته فى كوشة فرحها.. خير يا بنتى ومن هو صاحب الحظ السعيد.. والذى سيأخذ قرة عينى وجوهرتى؟.

— إنه أغلى إنسان فى حياتى.. وضحكت بشقاوة ومرح.. قائلة.. ولكن بعدك.. يا حبيبى.

وكيف تعرفت إلى هذا الشاب؟.. ومن هو؟.

إنه زميل لى بالجامعة.. شاب فقير.. والده موظف على قد حاله.. ولكنه عندى أفضل إنسان على وجه الأرض.. إنى أحبه يا أبى.. شعرت بأن هذا الشاب متسلق.. يضع عينيه على ثروة ابنتى.. فهى الوحيدة لا أخ ولا أخت.. هى وريثتى الوحيدة!.. واستطرد.. قررت أن أضعه موضع الاختبار لمعرفة هدفه الحقيقى من زواجه من ابنتى قبل إصدار أى حكم عليه.. ولكنه كان يجيد فن الخداع يمارسه بتلقائية وفطرة.. لم يبلع الطعام.. عندما أخبرته أننى لن أساعده فى أى شىء.. وإنه لن يحصل على مليم واحد من ثروتى.. وإذا أراد الزواج من ابنتى فعليه أن يكون على مستوى طلباتها ومستواها.. وتتوقف الكلمات على لسانه.. وتطل الدموع من مقلتيه.. تعبر عن مدى ما يعانيه من أسى.. وحزن.. ثم يستطرد قائلاً.. بصوت متقطع النبرات.. لم أكن أعلم أن قلب ابنتى متعلق إلى هذا الحد بهذا النذل.. الجبان!!.. الذى أراد أن يكيد لى.. فى.. أعز مخلوقة على قلبى.. فلذة كبدى.. ابنتى الوحيدة.

ماذا حدث؟ قال أحمد مستفسراً.

يوم الفرح ذلك اليوم الذى تملك العروس الدنيا بما فيها.. أسعد لحظات العمر لأى فتاة.. يوم العمر.. اختفى العريس.. سافر فجأة إلى بلد أوروبى.. يبحث عن صيد ثمين.. امرأة ثرية.. تعوضه الصيد الذى فر من بين يديه!!

وكانت النتيجة.. وقعت ابنتى فريسة للمرض النفسى.. فقدت ثققتها بالناس.. كرهت الحياة.. وحتى الآن.. ومنذ ذلك التاريخ المشؤم أنتظر معجزة.. تشفى ابنتى!!

وينظر الرجل العجوز إلى أحمد نظرة مليئة بالأمل.. ثم يقول له..
أشعر الآن.. بأن السماء استجابت لتوسلاتي.. وأرسلتك إلى في هذا
التوقيت الذى أحس فيه بدنو أجلى.

ربما ما زالت روحى متعلقة بالحياة لظروف ابنتى تلك.. فلمن أتركها
وهى وحيدة فى هذه الدنيا.. الأقارب طمعى فى ثروتى.. والخوف
والرعب يملآن نفسى فزعاً على ابنتى.

انخرط الأب فى بكاء شديد.. وانسابت الدموع على خديه كسيل
جارف.. تعالى صوته ينتحب على حظ ابنته العاثر! !

هدأ أحمد من روعه.. وقال له.. إن الله أرسل ابنتك لى لتضم
هى جراحى.. فأنا أيضاً لى حالى.. فقد أحببت وأعطيتها من روحى
وعمرى.. ولكنها تركتنى بعد أن أخذت ما تريده دون أن تنظر وراءها..
بأى مشاعر رثاء لى.

إنى أحتاج ابنتك.. أكثر مما هى تحتاجنى.

واستطرد قائلاً.. إن الاحتياج لمن يستوعبنا.. يشاركنا آلامنا
وأفراحنا.. يشعر بنا فى لحظات الألم والسعادة.. البهجة والحزن.
هذا هو الحب الحقيقى.. وعندما نجده لا يجب أن نفرط فيه بسهولة..
وأنا أشعر باحتياج لابنتك كما لم أحتج لإنسان قط.. وسأهب لها ما تبقى
من عمرى.. لأكون تحت أمرها ومعاً سنستعيد سعادتنا المفقودة.

احتضن الأب أحمد فى حنان جارف.. قائلاً له.. ستكون ابنتى
أمانة فى عنقك.. حافظ عليها.. وقاما معاً من مجلسهما فى اتجاهها إلى
قاعة الغناء الشرقى.. حيث تجلس بثينة تستمع إلى أغانيها المفضلة.

البراميل

أقبل الصيف بلياليه الرطبة.. وحرارته المرتفعة التي تخنق الأنفاس وتفتت أعصاب الناس وتثير انفعالاتهم.. ولا يجدون مفرًا من جوه الخانق إلا بالفرار إلى مياه البحر.. أينما وجدت.. يلقون بأجسادهم في جوفها.. يستردون انتعاش نفوسهم.. وتعم البهجة بأرواحهم.

في إحدى ليالى الصيف الحارة.. ارتفع ترمومتر حرارتها إلى ذروته.. وكاد الناس ينزعون جلودهم من شدتها.. كان موضوع الجلسة الذي يدور بين الأصدقاء الثلاثة بالنادى حول حرارة الجو والرطوبة الخانقة.. فقرروا على الفور السفر إلى الإسكندرية عروس البحر المتوسط.. وخلال ساعة واحدة كان كل منهما قد قام بتجهيز ما يحتاجه لسفر قصير.. واجتمعوا أمام منزل أحدهم وصيحاتهم تتعالى.. مهللين.. وقد اجتاحتهم مشاعر فياضة بالمرح.. والسرور..

انطلق الأصدقاء في طريقهم إلى طريق مصر الصحراوى بسيارة أحدهم فى اتجاههم إلى الإسكندرية.. وهم يشعرون بانطلاق هائل وإحساس كبير بالتخلص من المسئولية والهموم.

كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحًا.. حين اقتربت سيارتهم من «الريست هاوس» استراحة فى منتصف طريق مصر الصحراوى.. توقفوا ليستريحوا قليلًا.. ويتناولوا إفطارهم.. فى ذلك المكان الذى يعج بالبشر من كل لون وشكل.. نساء جميلات.. فتيات كالورد فى نضرتة وإشراقه.

التف الأصدقاء الثلاثة حول إحدى الموائد.. فى مدخل «الريست»
حتى يتراءى لهم القادمون والذاهبون.. ويستقبلون نسمة الصباح العليلة
وهواءها النقى.

كانت سعادتهم لا توصف.. وضحكاتهم وقفشاتهم يتبادلونها فى
مرح كبير.. وسرعان ما انتقلت عدوى المرح والسعادة إلى وجوه العاملين
بالمكان فارتسمت البسمة على الوجوه.. وازداد الجميع نشاطاً وحيوية.
أحس الأصدقاء الثلاثة بروح وثابة.. منطلقة.. فتملكهم شعور بقدرتهم
على فعل المستحيل.. وغير المألوف.

تحركت عقارب الساعة تقترب من الخامسة.. وبدأ الأصدقاء فى
مسيرتهم من جديد فى رحلة الانطلاق والمرح والتجديد.
كانت سيارتهم تنهب الطريق نهباً.. حتى تراءت لهم مدينة
الإسكندرية.. وثبت بداخل كل منهم روح جديدة.. حملتها إليهم رائحة
البحر.

خطوات قليلة.. لا تتعدى عدد من الأمطار.. وتناهى إلى أسماعهم
صوت تلاطم الأمواج.. وهى تمرح مع بعضها.. تسرع الواحدة تلو الأخرى
فى دلال.. فتحدث أضواءاً شجية.. تنعش النفوس.

انطلق الأصدقاء الثلاثة إلى كابينتهم.. نزعوا ملابسهم على عجل
ارتدوا لباس البحر.. أسرعوا ناحية الشاطئ.. وصرخاتهم تعلو وتعلو
أحدثوا ضجيجاً بعث روحاً فى الشاطئ الخالى إلا من عدد قليل من
المصطافين.. ألقوا بأنفسهم فى غمرة مياه البحر.. بزرقة الرقيقة كخد
فتاة جميلة نضرة.. وظلوا يتسابقون بين أمواجه وانطلاقهم يفوق الحد..
كان أرواحهم تخلصت من قيودها وروتينها.

.. وتوافد المصطفون إلى الشاطئ.. حتى أصبح كخلية النحل..
وتداخلت ألوان الشمس التي تظلل الجالسين على الشاطئ.. فأحدثت
انجاسا. وهمونية رائعة بين ألوانها المختلفة وفجأة.. توقفت الأعين..
واشرأبت الأعناق.. وسكنت حركة السابحين في مياه البحر.

فقد انشاق الشاطئ عن حورية من الجنة.. فتاة لم تر العين أجمل
من بهائها.. جسد مشوق.. متناسق.. بياض.. ناصع.. شعر يتطاير في
الهواء.. فتقع القلوب صرعى من روعة جمالها.

تلاقت أعين الأصدقاء الثلاثة.. ولسان حالهم يدور حول سؤال
واحد.. أعروس البحر هي التي ظهرت أمامهم؟ أم من هذه الفتنة
المتحركة؟

اقترب الأصدقاء الثلاثة من بعضهم.. وهم يجذفون بأجسادهم داخل
مياه البحر.. قال أسامة لصديقيه أشرف ومنير.. لم أر مثل هذا الجمال
في حياتي.. سبحان الله.. من الممكن أن يجمع مثل هذا الجمال في
جسد واحد.. إنه لم يترك شيئا منه لبقية نساء الأرض.

ظل الأصدقاء الثلاثة مشدوهين.. وعيونهم ترصد هذا الجسد النابض
بلونه الناصع الأبيض.. وتلك الفتنة والأنوثة الطاغية في كل حركة
ولمحة.. سارت أمامهم وهي ترتدى مايوها برتقالي اللون فكون مع
جسدها المشوق لوحة للفتنة والإثارة.. ثم ألقى بنفسها في مياه البحر..
أحس السابحون حولها وكأن مياه البحر وقد تحولت إلى قارورة عسل
نحل.. وإذا بهم يلتفون حولها.. يشتهون ذلك الشهد المتدفق مع كل
تجديفة من يدها.. أو قدميها وعيونها تعبر عن استمتاعهم بهذا الجمال
الناذر.

أحس أسامة.. بقلبه يقفز من بين ضلوعه.. وأن حواسه جميعها اجتمعت وتوقفت مع تلك اللحظة التي رأى فيها تلك الفاتنة جميلة الشاطئي.. وقفزت إلى عقله فكرة مجنونة.. قرر على الفور تنفيذها.. أسرع على الفور يشق طريقه بين الأجساد الملتحمة حول فراشة الشاطئي حتى اقترب قليلاً.. وأصبح على بعد أمتار قليلة منها.

اندفع يضرب المياه بكلتا يديه في قوة ليقترّب منها.. وبلغت نظرها إليه بأى شكل.. وبأى صورة.. كان يسبح تارة على ظهره ومرة أخرى على وجهه.. ويغوص فى المياه ثم يظهر فى قفزات بهلوانية وكأنه لاعب سيرك.. ثم بدأ فى الدوران حولها.. المرة تلو الأخرى فى دائرة.

نظرت الفتاة إليه فى لا مبالاة.. ولسان حالها يقول.. من هذا الـ...؟.. اشتدت رغبة أسامة للفت نظر الجميلة. التى كاد يجن بها.. اندفع يضرب المياه بكل عضلة فى جسده.. حتى يصل إلى «البراميل» تلك العلامة التى وضعت فى مكان محدد بمياه البحر حتى لا يتجاوز السابحون فيما بعدها من مياه.. فهى تمثل خطراً عليهم.

ولكن أسامة فقد السيطرة على نفسه وأعصابه.. وكان مبرره بأن هذا الجمال يستحق فعل أى شىء من أجله.. أن يتجاوز هذه البراميل.. انطلق بعدها على ظهره فى حركات بهلوانية يسبح بقوة فى اتجاه البراميل.. وعيناه مازالت معلقتين بهذا الجسد الشهى.. وبالقوام الذى ينافس فينوس إلهة الجمال فى روعته وتناسقه.. والذى تجاوز إحساسه به أى علاقة تربط بالعقل والاتزان.

وفجأة.. شعر بدوار.. وبأن قنبلة انفجرت داخل رأسه وعندما أفاق من غيبوبته.. التف ينظر حوله يتربح إجابة لتساؤله فى عيون

المحيطين حوله.. قال.. أين أنا؟.. شعر بألم شديد فى رأسه.. تحسس رأسه فإذا بأربطة الشاش تلفها.. وعلى ملابسه بقايا دماء.. حاول صديقه أن يخفيا ابتسامة قفزت إلى شفاههما.. ولكنهما لم يستطيعا التحكم فى ذلك.. فانطلقت ضحكاتهما عالية فى هسترية واضحة.

نظر أسامة إليهما متسائلاً.. ما الذى يضحكما إلى هذا الحد.. قال له منير.. وهو يترنح من شدة الضحك

ألا تتذكر صاحبة المايوه البرتقالى.. وأكمل قائلاً: إن ما حدث لك بسبب المايوه البكىنى.. اصطدمت فى أحد البراميل.. فانشجت رأسك.. علت ابتسامة كبيرة على وجه أسامة غطت كل آلامه.. وعقب قائلاً.. أنتم كنتم واخدين بالكم؟.. يا عفاريت.

تعالت ضحكاتهم عالية.. وجاءت الممرضة مسرعة على أصواتهم المزعجة.. والضوضاء التى أحدثوها.

قالت لهم فى لهجة غاضبة.. المريض بتاعكم يقدر يخرج الآن من المستشفى.



الأسانسير .. الكبير

اندفع عامل الأسانسير.. بزيه الرسمي صعوداً إلى الدور التاسع في لهفة وتوتر.. كانت الساعة تقترب من الرابعة ظهراً.. موعد انصراف المسئول الكبير بالمؤسسة الصحفية المعروفة وعودته إلى منزله في ذلك التوقيت.

اصطف العاملون يميناً وشمالاً.. أمام باب الأسانسير الكبير في انتظار مقدمه الميمون.. وقام مسئولو الحراسة المخصصين له بإغلاق أزرار الجاككات التي يرتدونها.. ليظهروا في صورة محترمة إجلالاً لهذا المسئول !!

وظهرت علامات الفرحة جلية واضحة على ملامح الجميع.. الكل يهرول ذهاباً وإياباً.. وكأنها ليلة العيد.

ثوان مرت.. وبعدها.. دقائق.. حتى تراكمت فأصبحت نصف ساعة ولم يخرج المسئول العظيم من مكتبه بعد !!

تجمد الجميع في أماكنهم.. وظلوا واقفين متأهبين لاستقبال المسئول الكبير حتى يخيل لمن ينظر إليهم أنه أمام لوحة مرسومة.. علفت على أحد الحوائط.. وليسوا بشراً من لحم.. ودم !! لا يصدر من أى منهم حركة أو حتى لفظة !!

وظل الوضع كما هو.. لم يظهر المسئول الكبير.. ولم تحدث أية ضوضاء تنبئ عن قدومه أو حتى قرب حضوره !!

تساءل الجميع فيما بينهم وبين أنفسهم.. هل حدث شيء؟.. ولكن لم يجروا أحد منهم على البوح أو الجهر بتساؤله هذا!! وما الجديد.. فقد اعتادوا على مثل هذا السلوك.. قال أحدهم لنفسه في حلق وضيق.. هي عادته.. ولا هيشتريها.. ماذا بأيدينا أن نفعل؟.. نحن جميعاً عبد المأمور!!

ساعة ونصف الساعة.. ثم خرج إليهم مدير مكتبه.. وابتسامة عريضة على شفتيه.. قال مهلاً.. فرحاً.. البية عنده ضيوف واستدار مرة أخرى متوجهاً إلى مكتبه.. واختفى بداخله.

لم يفهم العاملون.. ماذا يفعلون.. وكيف يتصرفون.. ولم يتحرك أى منهم.. ظلوا فى أماكنهم كالأصنام المتحجرة!!

وبالداخل.. كان يجلس المسئول الكبير على كرسيه الضخم بمكتبه.. وقهقهاته وضحكاته.. تتصاعد عالياً.. وضيغه أمامه يتبادلان النكات.. والحكايات.

سأله الضيف.. بشيء من الفضول.. قائلاً.. لقد رأيت الأسانسير والعاملون واقفون فى انتظارك.. أرجو ألا أكون قد عطلتك كثيراً فى العودة إلى منزلك؟.

رد عليه المسئول الكبير بكبرياء.. من يعلم قدر نفسه!! مفيش أى مشكلة.. وأضاف فى تعالٍ وصلف.. وهما وراهم إيه.. فلينتظرونى!. نظر الضيف إليه ملياً.. وعلت ابتسامته على شفتيه تلازمت مع سؤال لم يطرحه سريعاً على مضيفه.. وكأنه يفكر فى صيغة مناسبة.. ثم قال بشكل ماكر.. واضح أنهم متعودون على انتظارك.. وأعقب كلماته

بضحكة هادئة ليخفف بها وقع كلماته المقصودة.. والمعنى الذى أراد أن يحققه من وراءها.. وأضاف قائلاً.. ولكن ألا يعوق تعطل الأسانسير هكذا مسيرة العمل.. فإنى أعتقد أن هذا الأسانسير حملته كبيرة.. وكثير من العاملين بهذا المبنى الضخم يحتاجونه فى الصعود والهبوط لتأدية عملهم.

لم يعلق المسئول الكبير لعدم اهتمامه.. سادت لحظة صمت قطعها الضيف مرة أخرى قال موجهاً حديثه إلى مضيفه.. أنا أشعر بالفعل أنى عطلتك.. وعطلت كذلك العاملين بالمؤسسة بشكل غير مقصود.. ولهذا.. أرى من المناسب الآن أن انسحب.. وأنهى تلك المقابلة الجميلة.. لنستكملها فى وقت لاحق.. وهب من مكانه واقفاً.. وبدأ فى جمع أشيائه المبعثرة على المنضدة التى أمامه.

صاح المسئول الكبير.. فى إصرار.. مستحيل.. أنا لم أشبع منك.. فمئذ زمن لم نر بعضنا البعض.. وهذه فرصة.. وأعقب كلماته بضحكات.. وقهقهات عالية.. وكأنه لا يلوى على شىء.

أدرك الضيف.. أن المعنى الذى أراد توصيله لم يصل إلى عقل مضيفه.. وتاه معناه.. ولم يواصل مسيرته!!

حاول الضيف التأكيد على رغبته فى الانصراف.. فقال.. ستكون لنا لقاءات ولقاءات.. فقد عدت نهائياً إلى مصر.. وسأظل بها ولهذا توقع رؤيتى كثيراً.

صاح المسئول الكبير قائلاً: أبداً.. لن تتحرك من مكانك.. حتى أعرف كل أخبارك.. لن أسمح لك بالانصراف!!

تسلل التوتر والقلق إلى الضيف.. فهو يشعر بشدة بالأسف الشديد..
ففى رأيه.. أن ما يحدث غير حضارى بالمرّة.. ولن يكون مشاركاً فى
فعل كهذا.. قال لنفسه فى صمت.. أنا أمقت القهر الإنسانى.. وعدم
احترام آدمية للبشر!! فجميع الأديان والملل.. ترفض ذلك.. وتعتبره
جريمة.

بدأت حبات العرق تبلل جبين الضيف.. رغم أن جهاز التكييف
يرطب جو المكتب.. والجو حوله معتدل.. اعتدل فى جلسته حتى
يستعيد قدرًا من التوازن النفسى.. فهو يشعر بأن نسمات الهواء لا تصل
إلى رثتيه.. وبأنه لا يستطيع التنفس.

وقرر المحاولة مرة أخرى.. فقال لصديقه المسئول الكبير.. هل مازال
العمال والأسانسير فى انتظارك حتى الآن برغم مرور ساعتين كاملتين..
أم أنهم انصرفوا إلى أعمالهم حتى يحين موعد انصرافك؟
ضحك المسئول الكبير ضحكة معتدة واثقة وقال فى صلف مستفز..
لأ.. طبعاً.. مازالوا ينتظروننى.. دى وظيفتهم!!

أحس الضيف بغثيان وقرف.. فقد أصابه رد المسئول الكبير فى
مقتل.. وقفز من مقعده كأنه لدغه عقرب.. وقرر الفرار من المكان.
نظر إليه صديقه المسئول الكبير فى دهشة وتعجب.. وقال له.. ماذا
بك.. ألدبك مواعيد أخرى أهم منى؟.. لا كده هأزعل منك قوى!!
فقال زاعماً له.. بعد أن وجد أنها فرصة.. نعم تذكرت أن لدى
مواعيد مهمة للغاية.. ولكننا سنتقابل.. قال ذلك كمن يريد التخلص من
عبء ينوء به كتفيه.

رد المسئول الكبير.. فى الحالة دى.. لن أعطلك.. لقد سعدت كثيراً
برؤيتك.. وأتمنى تكرار الزيارة.. باستمرار.
ابتسم الضيف مؤكداً على كلام صديقه المسئول.. وهو يقول لنفسه..
يا خسارة.. لقد فقدت الآن صديقاً عزيزاً.. من هذا الذى أراه أمامى؟ من
هذا الكائن الذى فقد إنسانيته؟.. إنه بقايا.
وفر هارباً.. خارجاً يستنشق هواءً نقياً.



هل الموت.. حقا.. يحب الحياة؟

صاح الموت فى صوت كالعاصفة الهوجاء.. تقشعر له الأبدان.. لا.. لن أترك إنسانا قط على ظهر تلك الدنيا.. سوف أحيلها إلى أرض فراغ.. إنى أكره سلوك وتصرفات البشر.. لقد ضاقت نفسى.. بأخطائهم المروعة.. وضقت ذرعا بالشر الذى يفوح من أنفاسهم.. وينثرونه فى أرجاء الدنيا.

وتوقف يلتقط أنفاسه المتلاحقة.. ثم استطرد كلماته الحادة الغاضبة.. فقال.. لن أستجيب لرجائك.. ولا لتوسلاتك.. لن أخضع مرة تلو الأخرى لمشاغرى وضعفى أمامك.

ضحكت الحياة.. وهى تقترب منه فى ثوب يكشف عن مفاتها وجمالها الأخاذ.. وأعقبها باهتسامة خلابة مغرية.. اهتزت جوانح.. وقلب الموت.. فأحس وكأنه ريشة فى مهب الريح.. وأن ذلك الشعاع الذى يتسلل من عينيها الرائقتين يكاد يقتلع قلبه من مكانه من شدة حبه لها.. كانت رائحة الزهور المختلفة الألوان تفوح فى المكان التى قامت الحياة بتزيين شعرها المسترسل بها.. فبدت وكأنها واحة وجنة وارقة متحركة.

وقالت له.. لماذا.. تأخذ منى هذا الموقف المتعنت.. وتظهر لى هذا الجفاء.. والقسوة.. وأنت تحبنى.. ألا تحب الحياة؟

أقلت بسؤالها إليه فى دلال ودلع .. وأكملت .. لماذا تستكثر على البشر .. أن يتعلقوا هم الآخرون بى ؟ ! !

وأضافت برفق قائلة .. أنت أنانى .. وأنا أكره تلك الصفة .. أكره أن يختص كائن من كان بشىء دون غيره .. لماذا لا تكون الحياة ملكا للجميع .. يستمتعون بملذاتها ومتعها .

فلماذا تريد أنت فقط أن تختصنى بحبك ! ! إنك بهذا تتحول إلى كائن شبيه بهؤلاء البشر الذين تنتقد تصرفاتهم وسلوكهم .. وترفض أفعالهم ؟ .

قال لها الموت بصوت مستنكر .. أنا مستحيل أن أكون مثلهم .. إن حبى لك أيتها الحياة .. له هدف آخر هدف أسمى .. تحقيق التوازن فى كيانك وعلاقتك بهؤلاء البنى آدميين ! .

وأكمل فى تأن وصبر .. قائلا لها .. إن حبى لك يتحدى ويتجاوز الحدود المتعارف عليها داخل عقول البشر .

وهذا الهدف فى حد ذاته يمثل واقعا حقيقيا لحبى للحياة وليس كرها لك .. وإنما ينصب غضبى على أفعال البشر .. وما ينتج عنه من شر مستطير ! .

نظرت الحياة إلى الدنيا .. إلى البشر وهم يتحركون ذهابا وإيابا أمامها . إلى ضحكاتهم وقفزاتهم .. أشارت نحوهم وقد أطلت ملامح حزن دفين على وجهها فأظلمته بسحابة قاتمة .. ثم قالت للموت .. ولكن بأفعالك .. تسبب لهؤلاء .. الألم والأوجاع .. فكم من قلوب من بين هؤلاء .. آدميتها .. وكم من دموع نزفت من عيونهم .. وكم من نفوس وأرواح قهرها الحزن وتركها جثثا بلا حياة ! !

لا تتعجلى فى أحكامك.. كما أنت دائماً.. ولا تفسرى أفعالى بتلك القسوة.. فقد يكون فى باطن القسوة تسكن الرحمة.. بهؤلاء البشر.. وكم من مظاهر الأشياء لا تعكس جوهرها.

ألم ترى فى دنياك.. مرضى أضنتهم الأوجاع فأرادوا الموت اختياراً وتمنوه.. ألم تقابلى نفوساً حائرة لا تجد دواء لها فى غابة البشر.. إلا بالسكينة والراحة الأبدية.

وكم من أجساد بشرية أجهدتها.. مواصلة تلك الحياة.. التى لا تجد مخرجاً منها.. ولا ضالتها التى تبحث عنها.

وصمت الموت قليلاً عن مواصلة حديثه إلى الحياة.. ثم بدأ فى توجيه كلماته إليها مرة أخرى.. فقال فى يقين بالغ.

أما أنا.. فبقدرته الله التى وضعها فى نسيجى أحقق كل الأحلام المستحيلة.. والآمال المستعصية.. وأسعد بها أصحاب تلك الآمال.

واستطرد قد يصاب البعض بالضرر والحزن من جراء ذلك.. ويعجزون عن فهم واستيعاب أن الموتى هم أسعد حظاً منهم.. وأوفر نصيباً من السعادة.. وتنقلب سحنة الموت.. وهو ينظر من أعلى مكان بالدنيا.. على البشر أمامه.. بازدياد وشفقة.. ويتنهد فى عمق وثبات.. ثم يقول وهو يشير إلى أسفل إلى الدنيا.. إن هذه الدنيا.. التى يتخيلونها رحبة واسعة.. تموج بالمتع والبهجة والسعادة ما هى إلا ثقب إبرة فى العالم الرحب الواسع فى الجانب الآخر.. إن السعادة الحقيقية فى الهدوء وراحة البال والجسد.. إن دنياكم التى تتعلقون بها وتعيشونها كأنها الحقيقة الأبدية ما هى إلا وهم وضلال!!

ويستدير الموت بوجهه إلى الحياة ناظرًا إليها بعينين ملأهما الزهد..
فترد عليه قائلة.. ولكن أليس هناك اختيار لبنى البشر.. لماذا تأخذ
القرار بمفردك.. لماذا تقرر مصائرهم.. ولا تترك مساحة للآخرين لمعرفة
ما يريدون وما يشتهون؟ فتلك ديكتاتورية.. واستبداد.. وأنا أرفضهما
وأفضل عليهما الحوار المتبادل.

ولكن كيف؟.. ومن أبرز صفاتك.. أنك وحدك من يملك القرار
النهائي.. ويجد لذته فى ذلك.. أنت من تختار الوقت المناسب فتحرم
بعضًا من بنى البشر من سعادتهم.. وربما من قبيل الصدفة تمنح الراحة
للآخرين!!

وتكمل كلماتها فى نبرات تثن من الإحساس بالوجع والألم: إن
خوف البشر منك.. يجعلنى لا أرى واحدًا منهم يسعد باستضافتك..
أو حتى أن تمر بجواره.. ألم تسأل نفسك ولو مرة واحدة.. كيف أصبحت
مكروهًا إلى هذه الدرجة؟

ألا تحب أن تشعر وتحس ولو للحظة واحدة أنك محبوب بين
البشر.. ألا تفتقد بشدة ذلك الإحساس؟
ألم يراودك ذلك الحلم المستحيل؟

ركزت الحياة عينيها على الموت بخبث ونظرت فيهما بعمق وثقة..
حتى تتعرف إلى ما يدور فى داخل نفسه!!

حاول الموت الهروب من نظراتها الثاقبة.. ولكن لا مفر.. فإين
يذهب بحريته التى بعثتها إلى نفسه بكلماتها الحادة.. ومطاردتها
له بالأعيبها.. وحيلها ومكرها.. حتى تصل به إلى الاعتراف بعجزه
أحيانًا.. أمام نفسه وأمام البشر

تماسك الموت بسرعة.. وللم شقات نفسه.. فهو الماكر المتخفى..
يستطيع أن يأتى للبشر فى صورة مختلفة ويفاجئهم من حيث لا يدرون..
ولا يتوقعون.

ضحك الموت ضحكته السوداء.. بصوت مرعب أثار فزع الحياة
وقال لها بثقة واعتداد من يعلم إمكاناته.. وهدفه الأسمى.
أعتقدين.. أننى أنتظر من هؤلاء البشر.. الحب.. أو الكراهية.. أنا
لا آمل منهم شيئاً.. فأقدارهم بيدى أنا.. وهل من يملك ينتظر المنح..
.. وهل من يأخذ ينتظر العطاء؟.

إن البشر هم.. من يخافون ويرتعدون لمجرد ذكر اسمى أمامهم ولو
بالصدفة.. هم يخشونى.. ويعملون لى ألف حساب.. تعلقهم بك جعل
منهم كائنات ضعيفة.. هشة!! لا تجد القوة على مواجهتى أو الصمود
أمامى.

أنت.... وأشار إليها بشكل عنيف.. إنك سبب جوهرى فى خلق
ذلك الضعف الإنسانى الكريه.. انظرى إلى نفسك فى مرآتك.. فأنت
تفعلين المستحيل لإغرائهم وإغوائهم لتعليقهم بجنتك الزائفة التى تبذلين
الجهد المستحيل لتزيينها لهم.. أنت تشاركين البشر.. فى كراهيتهم
لى.. تدعين وتزعمين أنك لا دور لك فى مأساتهم تلك.. وأيضاً لا تتركين
لهم فرصة الاختيار مثلى تماماً.

مأساة بشر. ماذا تعنى بقولك هذا؟.

قالت الحياة مرددة ذلك.. باستغراب ودهشة.

نعم إنى أعنى ما أقوله تماماً.. رد عليها الموت بإصرار.. وأكمل
قوله: هذا التعلق الغريب.. من البشر بك.. يعمى أبصارهم عن الحقيقة

الواضحة وضوح الشمس حين تشرق على الأفق وتنشر ضوءها الذهبي..
فتتراءى كل الأشياء بوضوح كامل لكل العيون والأبصار.

إذن أنت كذلك تغرين وتبدلين فى مصائر البشر.. تقودين خطواتهم
إلى الضلال.. إلى الفراغ وأحياناً إلى العدم رغم المنحة العظيمة والنعمة
الجليلة التى حباهم بها الله.. تبئين الجهل فى عقولهم وتنثرين الفساد
فى نفوسهم.

ولا يجدون فى نهاية مطافهم سوى الضياع.. واللاشى.. صرخت
الحياة.. تستغيث من كلماته اللاذعة.. وقد شعرت بظلم فادح يقع
عليها.

إنك ظالم.. جبار.. تكيل لى الاتهامات.. الباطلة.. ولكنى لا أهتم
بآرائك تلك فهى تنم عن غايتك المعروفة.. قطف أرواح البشر.. اختطف
الفرحة من قلوبهم.. رسم الأحزان والكآبة على الوجوه والملامح.
ويالها.. من هدف وغاية مؤسفة.. وكئيبة.. وأكملت فى حدة وغضب
وعنف فى لهجة اتهام إلى الموت فقالت.. أيعكر صفو حياتك.. أن يعيش
البشر حياتهم.. ينعمون فيها ويتمتعون بأيامهم؟

وأعادت جملتها فى تحد.. أهذا يكدرك؟ لماذا لا تحب الفرح
والسعادة.. لماذا تفضل اللون الأسود على كل الألوان الأخرى المبهجة
للنفس والروح.

ألا تحب اللون الأبيض ذلك اللون الذى يعطى إحساساً هائلاً بالنشاط
والحيوية والفرح والسرور.

والأحمر.. الذى يعطى مشاعر فياضة وفورة وقوة وحيوية.. وغيرها
وغیرها.. ألا تجد نفسك فى تلك الأحاسيس الجميلة.

أتجدها فقط بين السواد والظلام واليأس والحزن.. ابتسمت الحياة
ابتسامة الظافر فقد شعرت بأنها نالت منه.. وأضافت.. من منا إذن
الظالم.. ومن منا المظلوم؟

برغم الإحساس العدواني والهجومى الذى شعر به الموت من الحياة..
نظر إليها فى عتاب.. وتساءل بدهشة.. قائلاً.. إن اتهاك لى يمثل
القسوة بعينها وجبروت لا حدود له.. لماذا تهاجمينى هكذا؟ ولماذا
تكرهينى كل هذه الكراهية برغم ارتباطنا الوثيق.. فأنا وأنت.. سنظل..
إلى الأبد فى رباط لا ينقسم.. فأنا.. وأنت.. البداية.. والنهاية!!
وما بينهما.. وليد لحظاتنا معاً.. السعادة والفرح حتى الحزن.. والألم
إنها نتاجنا معاً.

نظر إليها فى حب.. وقال لها.. أتكرين ذلك؟ لقد اشتركنا سوية فى
ميلاد تلك اللحظات إلى الوجود فلماذا تحملىنى وحدى هموم البشر..
ومأساتهم.. وأنت.. السبب الوحيد.. والأساسى فيها.. بينما أنا أمثل
القدر الذى يختار من يشاء وقتما يشاء.. وأنا اليد المنفذة.. لقد أعطيت
تلك القوة لغاية عليا.. وهدف أسمى.. كما قلت لك.. يتحقق التوازن..
ما بين الميلاد والموت.. ألا توجد الحياة.. إنى أترك لك مساحة كبيرة
من الوقت.. تفعيل فيه ما تشاء مع البشر تنجحين فى إخضاعهم
لألاعيبك.. إما يقاومونك! أو يقعوا فريسة لإغرائك أو يفرون منك!!
فهذا له جزاء.. وذلك له عقاب!

وأعقبت كلماته إليها بعد فترة صمت وجيزة.. فاستطرد قائلاً.. حتى
أنت برغم اعتراضى الكبير على سلوكك تجاه البشر فلك دور لا أقل

من أهميته.. فأنت من تكشفين عن جوهر الأشياء.. عن ماهية النفس البشرية ومكنونها.. خيرها.. وشرها.

ابتسمت الحياة ابتسامة اعتراف بحق.. أوحى بها عن اقتناعها بما يقال ويتردد أمامها.. ونظرت إليه بعينين يملأهما الخجل من الإهانات الكثيرة التي وجهتها إليه.

تلقي الموت ابتسامة الحياة.. فأشاعت السعادة داخل نفسه المضطربة بانفعالات مختلفة.

ثم مالت عليه فى دلال.. وقالت له فى صوت أنثوى جميل.. أنت الآخر لا غنى للبشر عنك.. فليس كل البشر ينعمون بالحياة.. فكثير منهم لا يجدون سعادتهم فى دنياى.. والبعض منهم يزهدا.. والأعم من بنى البشر قد يجد سعادة مؤقتة فيها.. ولكنى لم أجد منهم من يشعر بالسعادة الكاملة.. يضلون بخطواتهم.. ولا يجدون بصيصاً من نور يهديهم إلى الطريق أو المخرج.

قال الموت.. فى صوت مسترسل هادئ.. إذن اتفقنا أخيراً على أننا لا نستطيع الفرار من ذلك الرباط الأبدى بيننا. أوافقك الرأى.

تلاقت أيديهما فى مودة وحب.. وتسلى إليها شعوراً بالسلام والوفاق بينهما.



تجربة واحدة.. تكفى

قالت فى صوت ثابت.. فيه نبرة الإصرار والتصميم.. ليذهب كل منا فى طريقه.. لقد قررت الابتعاد.

ظلت عيناه متعلقة بشفتيها.. لم يصدق قولها.. أطل فى تعبيرات وجهها يبحث عن إجابة.. هل صحيح ما تقوله؟.. أم إنها تحاول اختبار مشاعره وعواطفه ناحيتها؟

أصابها توتر وقلق بالغين.. ولم ينطق بكلمة واحدة!.. فقد ألجمته المفاجأة!

نظرت منى إليه.. وقالت فى لهجة أكثر إصرارًا.. نعم لابد لنا من الافتراق!

قال حازم، فى فزع.. ماذا تقولين.. إنك لست جادة فيما سمعته منك الآن؟!

بلى.. إننى أعنى كل حرف مما نطقت به على لسانى.. وهذا قرار نهائى.. لا رجعة فيه!!

مستحيل.. لماذا.. ما الذى حدث منى يجعلك تقررين ذلك بهذه الصورة المفاجئة؟! إنك تعرفين مدى حبنى لك.

فأنا لا أستطيع العيش بدونك!!

لم يحدث شئ جديد.. ولكنها النهاية التى لابد منها.. لن أستطيع أن أعانى وأقاسى آلام تجربة فاشلة مرة أخرى.. لم يعد لدى القدرة

لواجهة الإحباطات والإحساس باليأس مرة ثانية !! .. تجربة واحدة تكفى !

وتوقفت عن استرسالها فى الكلام .. لتسترد أنفاسها المتلاحقة .. ثم أكملت حديثها إليه قائلة.

لقد أخبرتك بمعاناتى .. وكم من الآلام التى لقيتها .. وتركت أثراً لا يندمل وجروحاً لا تشفى بروحى ونفسى .. جاهدت ، حتى للمت أشلائي المبعثرة .. وأجزائى المترامية .. أيام وشهور وسنوات أحسست فيها بالضيق وفقدان الأمل .. افتقادی للثقة فى نفسى والآخرين .. حتى أصبحت مرة أخرى على ما أنا عليه الآن .. أقل صلابة فى استيعاب الآلام وتحملها أو حتى مواجهتها . وصمتت قليلاً .. ثم قالت .. لماذا تسعى ؟ لتكرار التجربة فى حياتى مرة ثانية ؟

كان حازم يستمع لنى .. وهو فى أشد حالات الدهشة والتعجب ؟ ! . قال لها فى ذهول .. أبعد كل هذا الحب ؟ !

قالت منى ومازلت أحبك .. كما أحببتك منذ رؤيتى لك .. بل حبى لك يزداد كل يوم أكثر مما سبقه من أيام .. ولكنه ليس حباً غيبياً .. مغمض العينين .

لقد أيقنت أن حبى لك يسير فى طريق متواز .. مع استيعابى لك بعقلى وفكرى .. ومنطقى .. وهذان الخطان لن يتقابلا أبداً فى نقطة التقاء .. كل منهما يرفض الآخر تماماً ويلفظه .

لقد أعطيت نفسى فرصتها كاملة .. لأوفق بين عقلى .. وقلبى ولكن كان ذلك ضرباً من المستحيل !

ألم أكن الرجل المناسب لك؟

ليس بهذا المعنى المتطرف!.. وتكمل كلماتها قائلة.

ولكن أفقد معك ذلك التواصل بين عقلينا.. وإن كانت روحانا قد تقابلتا معًا منذ أول لحظة رأيتك فيها.. ولكنك لم تستوعبني قط.. لم أشعر بأنك واحة.. آمن فيها على نفسي.. من القلق والتوتر ومشاغبات الحياة!.. دائمًا كان الخوف يغلف إحساسي ناحيتك.. بحثت فيك عن السند والحماية.. فلم أشعر بهما قط.. بل ازداد خوفي وأنا بجوارك.. إن خوفي من غدٍ دائمًا ما كان يؤرقني.. فلم تستطع أن تبعث بداخلي بديلاً له.

نظر في عينيها يحاول أن يستوضح أمرًا.

كان سحابة حزن عميق تغطيها.. ولكن توقفت الكلمات على لسانها في صدق وصراحة.. قالت.. لن ننكر أنني خرجت من تجربتي السابقة وأنا أحمل مرارتها.. التي مازال أثارها باقية.. ولكنها ليست تراكمات داخل نفسي.. وإنما أعود إليها فأسترجع ما حدث في الماضي.. لأتجاوز وأتجنب الوقوع مرة ثانية في نفس أخطائي!

وهذا ما يحدث الآن.. أتعي ما أقول؟.. سألته.. فلم ينطق بنت شفة.. ولم يعلق بكلمة.. بل ظل صامتًا.. استطردت مني في حديثها إلى حازم.. فقالت.. إن قرارى هذا سيسبب لى الألم.. ربما إلى وقت ما.. حتى أعود على اختفائك وافتقارك أيضًا من محيط حياتي.

إلى هذا الحد.. أصبحت بعيدا عنك؟ قال حازم وأكمل كلماته.. ألم اقترب من قلعتك المحصنة ضد المشاعر.. ضد الضعف الإنساني؟

قالت له.. ألا تعنى كلماتك هذه.. أننى أيضًا كنت بعيدة.. عن مضمار عقلك.. عن استيعابك لى.. وفهمك لمفرداتى؟.. فلماذا الغضب.. والثورة؟

أترفضين منى حق الاعتراض؟ إلى هذا الحد رفضك لى لا رجعة فيه؟ إننى أحتاج الآن لفهمك لى أكثر من أى وقت مضى.. أحتاج لاحتوائك؟ قال لها.

كيف أعطى.. وأنت.. ترفضين عطائى؟ إن حيرتى تقتلنى أين أنا منك يا منى؟.. وأكمل كلماته فى حزن بالغ.. فقال.. طوال الوقت.. ووجودك فى حياتى هو مصدر هنائى وسعادتى.. فماذا كنت أنا؟ وصمت قليلاً.. وتعبيرات وجهه تعبر عن أسف كبير وحزن شديد.. قال لها.. أ يوجد شيء جديد فى حياتك.. لا يصلح معه تواجدى فيها؟ قالت له فى يقين وثقة.. لا يوجد رجل آخر.. يشغل فكرى وقلبى.. ستظل نفس المساحة داخل قلبى محجوزة لك إلى أن يشاء الله ولكن.. أرفض الضعف.. أن أتحول إلى كائن لاهول له ولا قوة.

وأكملت.. أعترض على أن تصبح حياتى ريشة يتقاذفها القدر بعنفوانه وقوته.. لقد سئمت أداء هذا الدور.. أريد استعادة نفسى كما عهدتها دائماً قوية.. تملك إرادتها.. تستعد لأيامها القادمة ولا أريد النظر إلى الوراء والتحسر على ما فاتنى.. أو ضياع فرصتى فى أيامى القادمة.

فلماذا ترفض أن تمد لى يد المساعدة؟!

أنت قاسية.. جبارة.. كيف لم أكتشف ذلك فيك؟!

لأنه ليس أنا من تصفها بتلك الصفات.. فأنا كما عرفتُها وأحببتها..
ولكن قرارى هذا لأننى أعرفك جيداً.. قدراتك.. حدودك.. ما تملك..
وما لا تملك.. أنا لا أرفضك.. ولكن أحاول أن أتجاوز ما قد يحدث لى..
أقاوم الاصطدام بالألم مرة أخرى وربما الهروب من نتيجة حتمية.. قد
نفر منها ولكن بخسائرها ! لماذا نسعى لمواجهة المعاناة والآلام؟ ولماذا تصر
على تحطيم ذكريات قد تكون الملجأ لكلينا لحمايتنا فى لحظات الألم
الحياتية؟

قال لها فى حب شديد.. أنت تطلبين المستحيل.. لن أتركك..
لن أترك عمري يهرب من بين يدي دون الدفاع عن أيامى.. لقد فهمت
الآن ما كنت غافلاً عنه.

ألم يتراءى لك.. بدونك... الخواء الذى سيحتوينى، الفراغ الذى
سيبتلعنى.. سأتركك.. ولكن ليخرج الخوف الذى يعيش فى روحك..
وسانتظر.. عودتنا لننظر معاً حتى آخر العمر.



ليلة الزفاف

ضحكت أم الخير.. فى دلال.. وتعمدت أن تثبت فى ضحكتها كل أنوثتها وإحساسها بأنها امرأة.

تطلعت إلى وجه عباس.. بعينيها النجلاوين المكحلتين.. قائلة.. له ضرورى النهاردة تتعشى معنا.. أنا ورضوى عروستك.. سوف ننتظرك.. لا تتأخر علينا.. قال لها بلهجة ذات مغزى.. هو أنا أقدر أتأخر عليكم.. أنا عقلى وقلبى هنا.. فى الدوار ده.. أنا قتيل المحبة !! ابتسمت أم الخير.. وارتعشت أهدابها.. مع ضربات قلبها التى تدق بعنف وشدة !!

استدار عباس فى اتجاه البيت.. فقامت أم الخير لتوصيله.. تباطأ عباس فى خطواته متعمداً.. أن تلحق أم الخير به.. ويختليا ببعضهما.. وعندما أصبحا متجاورين.. أمسك يديها يتحسسها فى شغف ووله وقال لها.. وهو يضع قبلة على خدها الناعم الأملس.. فأطلقت ضحكة مستهترة.. فى أنوثة وإثارة.. وقالت له فى صوت هامس.. ناعم.. إياك ألا تحضر فى المساء.

قال لها.. وهل فى استطاعتى فعل ذلك !! .. ضرورى سأحضر. عادت أم الخير أدراجها إلى داخل الدار.. وقالت فى صوت عال.. لابنتها رضوى.. هيا بنا نستعد لإعداد طعام العشاء لخطيبك عباس.. عايزين نعمل له الأكلة التى يفضلها.

ردت رضوى فى لامبالاة.. لسه الوقت طويل أمامنا.. فالساعة لا تتعدى الثالثة ظهرًا.. أمامنا وقت لإعداد العشاء.. مستعجلة على إيه؟!

لماذا لا تهتمين يا ابنتى.. ده عريسك لقطة.. كل بنات القرية تحسدك عليه أمين الجمعية الزراعية فى قريتنا.. متعلم ومن البندر.. وأبوكى قبل سفره إلى الخليج كانت فرحته به لا يعادلها فرحة.. علشان كده عايزاكى تهتمين به.. وأكملت فى النصح.
وده فى غربة بعيد عن أهله.. وضرورى يحصل على لقمة مطبوخة فى بيت عروسته!

طيب.. إن شاء الله.. قالتها رضوى.. وهى لا تنوى على شىء كانت رضوى فى الخامسة عشرة من عمرها.. فتاة مازالت بأفكارها البكر على أعتاب الدنيا.. محتفظة بصفيريتها الطويلتين المنطقتين مع إحساس مائل بالطفولة الكامنة بداخلها.. وكيانها الطفولى البرىء.. فكل اهتمامها وأحاديثها.. ما يدور فى دارهم.. هى وأمها.. الفرح والاستعداد له.

وخضعت مثلها كمثل غيرها لتقاليد قريتهم فى ضواحي طنطا مثلها مثل بنات كل الأسر التى يتعجل أهلها تزويجها والخلاص من همها.. وستر عرضها.

ولأن رضوى وحيدة والدتها فكانت فرحة والدها عم جابر بالعريس الذى تقدم إليها لا تعادلها فرحة.. ووافق على الفور على تلك الزيجة.. بلا شرط.. أو قيد عن الظروف المادية المحيطة بالعريس.. فهو أيضًا

لديه كل المال.. الذى جمعه خلال السنوات الطويلة فى سفره وفى غربته لإسعاد ابنته الوحيدة ورؤية أحفاده قبل أن يموت.
ومن أجل هذه الغاية.. ظل طوال عمره فى غربه السفر.. لا ينزل لرؤية عائلته الصغيرة إلا فى الأعياد.. ولمدة خمسة عشر يوماً.. إجازة فقط.

والزوجة أم الخير.. امرأة جميلة.. فى عز شبابها.. زوجه أهلها وهى مازالت طفلة.. وأصبحت الآن فى الثلاثين من عمرها وعندها ابنة شابة تتزوج.. وفلوس جابر زادت أم الخير جمالاً على جمال.. فهو لا يبخل عليها بشيء.. الأساور الذهبية تزين معصمها وصدرها العاجى يجمله ويزيد من فتنته الكردان الذهبى البندقى.. والدار.. فيها كل العز والخير البوتجاز والثلاجة والتليفزيون والفيديو.. وهى تنعم بفلوس زوجها وراثته.

أما هو فقد أصابته الشيخوخة والمرض مبكراً.. فأصبح هيكلاً إنساناً.. هزيلاً.. جليداً على عظم.. ولم يعد يصلح لشيء.. ولكنه مصمم حتى آخر نفس فى العمر.. أن ينكسب لجمع الفلوس.. حتى ولو كانت على حساب صحته وعافيته.

وأم الخير تستمتع بأمواله.. وتمتع نفسها فلا تحرمها من أى شيء ونفسها مالت لخطيب ابنتها عباس.. طمعت فى شبابهِ ورجولته.. فهى محرومة من وجود رجل يحتوى أنوثتها ورغباتها المكبوتة.. وشبابها المتفجر الطامح والجائع إلى رجل يبهثها السدف.. والأمان والحنان والعواطف.. وظهر عباس فى الوقت المناسب.. شاب صغير.. فحولة ورجولة.. ورغباته فى قمته.. لم تستهلك بعد.. ولم تستنزف..

رسمت الخطة.. وأوقعت الفريسة بين مخالبها.. لتمتص هذا الشاب..
وهذه الرجولة.. ولا يستطيع الفرار منها.. فهي تعطيه ابنتها والمال..
وهو عليه «الجنس» وسطوته.

أصبح تردد عباس على دار عم جابر وأم الخير مشار الأقاويل
والشائعات بين أهالي العزبة.. ولكن أم الخير لا تعير اهتماماً لكل هذا..
فقد عمى بصرها عن حقيقة واضحة أن الشك من أهل القرية تحول
إلى يقين.. فالكل يعلم العلاقة المشينة المحرمة بين عباس وأم الخير
إلا رضوى ابنتها.. فهي فى عالم آخر من البراءة والتلقائية فرحتها ببدلة
الخطوبة التى تلمع فى أحد أصابعها تسعد قلبها.. وحلمها بارتداء
فستان الزفاف.. أصبح على وشك التحقيق.. وهى سعيدة بخطيبها
عباس.. بكلماته.. بغزله لها.. وبإيماءاته الدائمة إليها عن جمالها.. تلك
الأحاسيس التى تشعر بها لأول مرة.. بأنها امرأة جميلة.

وبوعيتها الطفولى السطحي.. وبراءتها.. لم يتسلل إلى نفسها..
أى مشاعر عن فهمها لما يحدث بين أمها وخطيبها من علاقة مشينة..
كانت تشعر أن أمها تسعى جاهدة فى الاهتمام بخطيبها عباس.. من
أجلها هى.. وإسعادها هى.. ولم يخطر على بالها قط.. الحقيقة البشعة
التي تنمو تحت سقف البيت التى تعيش فيه.

مر الوقت سريعاً حتى أصبح اقتراب يوم زفاف رضوى وعباس..
تحولت الدار إلى خلية نحل.. كل شىء يقدم على قدم وساق.. وكانت
خلالها أم الخير «أم العروسة» مشغولة فى إعداد كل ما يتعلق بالفرح
والزفاف.. إعداد ملابس العروسة والجهاز من أثاث ومفروشات وتوضيب

كل شيء فهمى بمفردها.. تقوم فى غياب زوجها بدور الأب والأم.. بين يديها كل مقاليد الأمور.

دبت الحركة فى البيت ليل.. نهار.. استعداد لفرح رضوى وأصبح عباس يتردد على البيت دائماً.

أسرع الوقت فلم يبق سوى يوم واحد على يوم الزفاف.. وقد نال التعب من الجميع.. فقد بذل الجميع جهداً كبيراً.

وقد رأت أم الخير فى ذلك رأياً.. كان الظلام قد حل.. والوقت تأخر.. قالت لعباس.. خليك النهاردة معنا.. مش معقول تذهب فى ساعة متأخرة هكذا.

وضحكت ضحكة ذات مغزى.. أعقبتها بقولها.. كلها يوم تظل معنا على طول.

وافق عباس على الدعوة على الفور.. ونظر إليها بعينين جاثمتين كانتا تلتهمان جسدها.. وصدرها النافر!

اختلس لحظة خروج رضوى من الغرفة.. ومد يده يتحسس جسد أم الخير فى لذة وشهوة.. فهما فى الحجرة بمفردهما.. ورضوى مشغولة بفستانها وزفافها.. تتحرك ذات اليمين واليسار لا تجد وقتاً للجلوس إلى خطيبها وهى تستعيز بأمرها فى ذلك!

قال لها.. ونهجه يحتويه.. سأظل إلى جوارك.. إلى الأبد.. ولن نفترق أبداً.. أنا لا أستطيع العيش بدونك اشتعلت نيران الشهوة فى جسدها فاحتضنها بجسده فى وحشية يعتصره ويداه تحتوى نهدىها.. ذابت أم الخير.. فى دفء ذلك الصدر القوى وارتمت تتمسح بذراعيه القويتين وعضلاته المفتولة.

فقدت إحساسها بالمكان والزمان.. لم يبق سوى روحها المشتعلة
بالشهوة والرغبة.

امتزج الجسدان فى لهفة وشوق ينهلان من اللذة المحرمة.. حتى
أصبحا كياناً واحداً.. الشفاه تعتصران رحيق العشق.. والمتعة والجسدان
ينهلان من رحيق وشهد اللذة.

لم يفيقا من غفوتهما إلا بصرخة تصدر قريباً منهما.. كانت رضوى
تقف أمامهما جاحظة العينين.. مشدوهة.. كمن أصابها مس الجنون
من هول المفاجأة.. رأت أمها عارية فى أحضان خطيبها كما ولدته أمه
سقطت أمامها على الأرض.. جثة فاقدة للحياة.



أمى.. تليفون

أمسكت «سها» بسماعة تليفون بمكتبها.. تطلب رقم منزلها.. ردت الخادمة.. أيوه ياست.. أنا عطيات.

إيه أخبار الأولاد.. مش عايزين حاجة؟.. قالت لها.

لا.. يا ست هانم.. الأولاد بس تعبوني شوية.

تناولوا إفطارهم.. وشربوا اللبن.

لا.. ماحدث فيهم أكل حاجة.. أصلهم هربوا منى.. ومش عارفة مستخبين فين.

هما بيلعبوا معاكى استغماية.

هو ده جديد عليهم.

إيه الحكاية.. هما كل يوم بيعملوا معاكى كده.. يعنى لم يتناولوا طعامهم.

أيوه والنبي يا ست.. أشقياء خالص.

لا.. ده أنتى محتاجة إعادة نظر.. قالت ذلك فى انفعال شديد.

والنبي يا ست أنا ماعملتش حاجة.. الأولاد مش عايزة تأكل طب

أنا هاعمل لهم أيه ! هأكلهم بالعافية ! !

ازدادت انفعالات «سها» حتى وصلت إلى ذروتها.. وصاحت.. أنتى

مجنونة.. يعنى تتركى الأولاد دون طعام طوال النهار.

طب أنا هاعمل أيه يا ست؟

كادت سها أن يصيبها الجنون من غباء عطيات.. وضرخت.. أنا لى
كلام معاكى عندما أعود إلى المنزل.

ردت عليها عطيات بغباء لا تحسد عليه.. وهو أنا باشوفك.. ده أنا
باروح بيتنا.. قبل ما أنتى تيجى.

كاد عقل «سها» أن يقفز من عظام جمجمتها من شدة الغيظ فألقت
بسماعة التليفون فى وجه عطيات.

توقعت عطيات أن تعود الست «سها» إلى البيت على الفور.. فقامت
بسرعة تحاول البحث عن هشام وهالة.. أخذت تدور حول نفسها
كالمجنونة.. تدخل حجرة لتخرج منها إلى أخرى.. ولا تجد أثرًا يدل
على مكانهما جن جنونها.. فالوقت يمر.. والست على وشك الوصول
بين وقت وآخر.. دارت حول نفسها تفتش هنا وهناك.. حتى دوايب
الملابس قامت بتفتيشها.. ربما يكون الأولاد اختفوا بين الهدوم وقفت
عطيات وسط الشقة وشعرها منكوش والتعب نال منها منالاً من كثرة
الحركة والبحث عنهما بلا طائل.

جلست القرفصاء على الأرض تدق بيديها على فخذيها فى حركات
عصبية.. تكلم نفسها.. وتصيح.. أين أنت يا هشام.. أين أنت يا هالة؟
اخرجوا يا أولاد.. حرام عليكم كده.

بدأ الخوف يتسرب إلى نفسها والرعب يملأ قلبها فزعاً على الأطفال
فهى تحبهما بشدة.. فقد ولدا على يديها وكبرا يوماً بعد يوم أمام
عينيهما.. هى تقضى وقتاً أكبر من أمهما معهما.. فالأم سيدة عاملة..
تأتى إلى المنزل متعبة.. تدخل بسرعة إلى حجرة نومها لتستريح ولا تراهما
إلا فى المساء أى فى نهاية اليوم سويعات قليلة.

أصبحت عطيات فى حيرة قاتلة.. وأحسست بوجود خطر على الأطفال ولكن ماذا تفعل.

وهى فى خضم ذلك.. ودق جرس الباب فجأة.. دقات متعاقبة متلاحقة كأنها صراخ.. أسرعت إليه لتفتحه وقلبها يقفز بين ضلوعها من الخوف والفرع.. كانت أوصالها ترتعش من قدوم الست «سها».. وبمجرد أن فتحت باب الشقة هبت عليها عاصفة هوجاء اجتاحت كل البيت.. فقلبته رأسا على عقب.

لم تفهم عطيات الكثير من الألفاظ والسباب التى وجهتها لها الست «سها».. وقفت مفتوحة الفم مشدوهة.. فهى لا تجد أى مبرر للدفاع عن نفسها.. فالأطفال دائما ما يفعلون معها تلك المقالب والألاعيب.

وبدأ الليل يسدل أستاره على الدنيا.. والأولاد لم يظهروا بعد.. اندفعت «سها» كالثور الهائج فى كل مكان بالشقة.. وهى تصرخ.. فرعة.. أين أنتم يا أولادى.. حرام عليكم.. ماما هتموت من الخوف عليكم.. ردوا على.. ولكن لا مجيب.

بحثت هى وعطيات فى كل مكان.. إلا مكانا واحدا.. اندفعت الفكرة بسرعة داخل عقل «سها» فأسرعت إلى المطبخ.

كان الباب مغلقا بإحكام من الداخل.. صرخت «سها» الأولاد أغلقوا على أنفسهم من الداخل.. يا نهار أسود.. افتح يا هشام افتحى يا هالة !!.

كاد قلب «سها» أن يتوقف من هول ما تخيلته فى تلك اللحظات.. وبأن مكروها أصاب طفليها.

حاولت كل واحدة فيهما فتح الباب.. بلا جدوى.. أسرع «سها»
إلى رمضان البواب.. كانت تقفز السلم قفزاً.. وصيحاتها تعلو وهي
تنادى عليه.. حتى تجمع الجيران على صرخاتها.
خرج البواب من حجرته.. والفرع يملأ عينيه.. ماذا بك يا ست
سها.. ماذا حدث؟.

الأولاد.. الأولاد.. اندفع بملابسه الداخلية معها فى اتجاه شقتها..
أشارت له على المطبخ.. تمكن بقبضته القوية من كسر باب المطبخ..
والجيران ملتفين من حوله.

وقف الجميع مشدوهين.. أمامهم.. هالة وهشام ممددين على أرضية
المطبخ بجوار أنبوبة البوتاجاز.. فاقدى الوعي.
تعالت الصرخات.. والصيحات.. واختلطت الكلمات.

اندفع أحد الأطباء من جيرانهم.. ليرى إن كان الطفلان مازلا على
قيد الحياة أم لا.

كانت لحظات ثقيلة كأنها الدهر.. اختفت الأصوات داخل الحناجر..
وتوقفت القلوب فزعاً ورعباً.. وانطلقت الألسنة بالدعاء لإنقاذ الطفلين.
أكد الطبيب أن نبضهما ضعيف.. وبسرعة نقلهما إلى المستشفى
لإنقاذهما.

وبسرعة البرق.. سمع الحاضرون صوت سيارة الإسعاف.. وتم نقل
الطفلين فى حالة إعياء كامل.

برلمان.. الحريم

اجتمعت كل النساء من ساكنات العمارة داخل شقة مدام «رقية» فهي الوحيدة القادرة على التواجد بصفة دائمة طوال الوقت.. فلا عمل لها سوى كونها زوجة وربة منزل.. وهي تمثل مطار الاستقبال لصديقاتها وجاراتها بالعمارة التي يسكنونها جميعاً.. في أى وقت وفي أى ساعة !!

فالست «رقية» تستمع لمشكلة «سهير» وتشارك فى أنات منيرة.. وتنتحب مع مصيبة هدى.

والجميع يعتبرونها الأم.. والأخت.. والصديقة.. فهي ملجأ.. ووطن.. وصدر حنون يتسع لهن جميعاً.. فكانت أشبه بصندوق البريد.. تتلقى الشكاوى وتقدم المساعدة والحل.

كم من مشاكل تم حلها على يديها.. وكم من زيجات تمت أيضاً بمعرفتها.. وعلاقاتها الواسعة المشبعة بسيدات بل ورجال المجتمع.. وصفوتهم.

وكم من حالات طلاق كانت هى السبب الرئيسى فى حدوثها باقتراحاتها.. والتى يرضخ لها الجميع ويستجيبون لها بلا قيد أو شرط.. فهي أشبه برئيس للبرلمان.. والنواب يستجيبون ويستترشدون بتنبيهاتها.. وتوجيهاتها.. ولا يستطيع أحد مراجعتها فى كلمة سواء كان رجلاً.. أم امرأة.

ووراء باب الست رقية أسرار وحكايات.. لا يصدقها عقل.. وكأن بداخل هذا المكان فيلمًا سينمائيًا مستعر عرضه.. بلا توقف.. نسجت تلك الحكايات.. من تصميم الواقع.. وكل حكاية لها بداية ونهاية.. وجميعها تتجمع أطرافها عند الست رقية.

فهى مقنعة.. لراحة.. ذكاؤها لا تحسد عليه يساعدها على فهم الشخصيات المحيطة بها ومداخل كل شخصية.. تتعامل معها.

ففلانة.. يسهل إقناعها بالخزعبلات والسحر والدجل والشعوذة والتخيلات.. وعلانة.. أكثر عقلانية.. استجابتها لوضع الخطط الجهنمية ووضع النقاط على الحروف.. أكبر.

وجاذبية الست (رقية) لا تقاوم تنبع من إنصاتها الدائم لمشاكل الآخرين ومشاركتهم فيها بقلبها وحواسها.. ومشاعرها لحلها.. مهما كانت عمق أو تفاهة المشكلة أو الموضوع.

والناس فى أزماهم لا يحتاجون سوى المشاركة من أى صديق لمشكلتهم أو مصيبتهم.. يفضضون عما بداخلهم.. فتخرج شحنت الغضب والألم... وتعود المياه إلى مجاريها.. وتصبح الحياة بعدها «وردية» وتتحول نفوسهم إلى ثوب أبيض.. خالٍ من البقع والشوائب.

كانت الست رقية تعي هذا تماما.. وتستفيد منه.. فى جمع أكبر عدد من الأصدقاء والصديقات حولها.. فهى تؤمن بالمثل القائل «رب ضارة نافعة».

واستطاعت بذكاها الباهر تكوين شبكة لتحقيق المصالح.. على أعلى مستوى.. وهى مركز أطرافها المترامية هنا وهناك.. ورجال أعمال وسيدات أعمال.. أولاد نوات.. زوجات وزراء.. فهى تلبس طاقة سين من الناس لصاد منهم.. والمصلحة واحدة.

وحكايتها مع الصديقات والأصدقاء.. أحياناً تكون أغرب من الخيال.. وحيناً آخر.. مأساوية وكذلك بعضها كوميدية.. من يستمع لتفاصيلها يصاب بهيستيرية الضحك المتواصل.

وحكاية الست نازك جارة الست رقية في العمارة ولكنها في الدور الثالث فيها.. بدأت تفاصيلها.. بصرخات متلاحقة.. عندما رفعت الست «رقية» سماعة التليفون بمنزلها.. فصدمت مما تسمعه وأصابها الهلع والذعر.. والفرع.. ولكنها حاولت الاستفسار من الطرف الآخر.. من هي من بين صديقاتها.. فالصوت عال.. ومنفعل ولم تستطع أن تميز من هي فيهن.

صاحت بصوت متهدج.. خائف.. من معي على الخط.. ولكن لا مجيب.. وفجأة توقفت الصرخات.. ظلت رقية تتلصص السمع ولكن لا مجيب.. كادت أن تجن.. فالصوت اختفى تماماً.. كأن سماعة التليفون سقطت من يد المتكلم وكأنه أصيب بشيء كرهه.

واضطرت إلى وضع السماعة.. بعد أن أصابتها حالة عصبية.. شديدة.. وتساؤلات ملحة تضغط على أعصابها وعقلها.. تكاد تفتك بهما.

ظلت على هذه الحالة لدقائق.. كانت أصعب وأقسى عليها من دهر كامل.. ثم دق التليفون.. أسرع تلتقط السماعة.. ألو.. صاحبت بانفعال وتوتر.. من المتكلم.

جاءها صوت: أنا راوية يا ست رقية.

راوية مين؟

شغالة الست نازك.

وأكملت وهى تبكي..الست سقطت على الأرض بلا حراك أرجوك..
انزلى لنا يا ست رقية.. أنا مش عارفة أتصرف.. البيه مش موجود
بالمنزل الآن.

حالا.. أنا نازلة حالا.. وألقت بعدها سماعة التليفون.. وارتدت
ملابسها على عجل.. وفى ثوان. كانت تقف أمام باب الأسانسير..الدور
الثالث عشر حيث تقيم.

اندفعت رقية داخل شقة جارتها وصديقتها نازك.
كانت نازك ملقاة على الأرض بلا حراك.. فاقدة النطق غائبة عن
الوعى.. اتصلت رقية على الفور بأقرب طبيب لإسعافها.
انصرف الطبيب بعد أن قام بحقنها.. أفاقَت بعدها من غيبوبتها..
ولكن كان منظرها مثيراً للشفقة والراء.. ثيابها ممزقة.. وشعرها منكوش..
وعيناها متورمتان من كثرة البكاء.. وصوتها مبحوح لا يستطيع أن يخرج
من حنجرتها.

مدت رقية يديها تمسح بهما حبات العرق المتراص على جبين
نازك.. وهى تقول لها برقة وحنان.. حمد الله على السلامة.. ماذا بك..
يا حبيبتي؟.. ما الذى يحدث لك حتى تفعلى ذلك بروحك.. إنتى
اتجننتى؟.. ثم احتضنتها فى حنان وأمومة.. فانخرطت الأخرى فى
بكاء مر.. قالت لها رقية وهى تربت عليها.. اهدئى يا نازك.. إذا كان
فيه مشكلة نستطيع أن نحلها.. لكن لازم تهدى.. حتى أفهم منك..
ماذا حدث.

نادت رقية على راوية الشغالة لإحضار كوب ليمون لستها نازك
حتى تروق دماؤها من الغضب والانفعال.

وبعد قليل بدأت نازك تستجيب لكلمات رقية.. فاستعادت توازنها
وهدوئها.

ها.. أقدر دلوقتى أسمع منك.. إيه الحكاية؟
قالت رقية لنازك تلك الكلمات.. وهى تمسك بيديها.. فى حب
وحنان.. إيه الموضوع بالضبط؟.

موضوع.. دى مصيبة.. وكارثة.. وقعت على دماغى.. وبدأت نبرات
صوتها تختلط بحدة وانفعال مرة أخرى.. قالت .. البيه جوزى رئيس
مجلس الإدارة على علاقة بامرأة أخرى.. تصورى.. بيعرف امرأة على
أنا.. نازك هانم.

بعد السنوات دى كلها.. والعشرة.. والعمر الطويل بيننا ومساعداتى
له.. وفلوسى اللى عملته.. نسى نفسه.. افكر إنه هيصبح بيه على أنا
كمان.

بعد أن أصبح رئيس مجلس إدارة عايز يتجوز على أنا.. بعدما علمته
كيف يتعامل مع المستويات.. وعملت له علاقات.. ونجحته فى أعماله.
وأكملت فى غيظ وضيق.. النذل.. الجبان.

بيعرف عليا أنا واحدة ثانية.
طيب إنتى عرفتى الحكاية دى إزاي؟.
السكرتيرة بتاعته.. بتنقل لى كل شىء.. كل أخباره.. أنا مشغلاها
لحسابى.

يعنى عارفة مين هى الست دى؟
أبدأ.. كل اللى عرفته السكرتيرة.. إن اسم هذه المرأة سماح.. وأنها

تتعامل مع شركة زوجى ولكن معه هو.. بشكل مباشر.. ولا تتردد على مقر شركته بشكل دائم.. ولكن بين فترة.. وأخرى.

بسيطة.. هو ده اللي مزعلك بالشكل ده؟

وأكملت قائلة لصديقتها نازك.. والله سأعرف لك كل حاجة عن هذه المرأة.. ومش بس كده. سوف أبعدها عن طريق زوجك تمامًا.

وأضافت فى ثقة واقتدار.. المهم أن الزواج لم يقع بعد بينهما.. ولا تبقى المصيبة مصيبتين؟

صحيح يا رقية.. دى تبقى مصيبة سوداء.. لو ده حصل.. المهم يا رقية إزاي هنوصل لسماح دى؟

اهدشى.. يا حبيبتي.. قالت رقية وكأنها تعدها.. وتؤكد على وعدها.. منذ متى أقول كلمة ولا أنفذه.. أو لا أنفذ أى وعد أعد به!

حقيقى هتاخدنى لى بثارى!

هتشوفى يا حبيبتي.. أولا هاعرفلك أصلها وفصلها وحكايتها وروايتها.. وسوف نجد بعد ذلك الطريقة المناسبة.. التى نستطيع بها إبعادها عن سكة زوجك المعدول!

هاتجنن يا رقية.. أنا سلية الحسب والنسب يتركنى زوجى علشان واحدة من إياهم.. ما هو رجع لأصله.. وظهر على حقيقته.

ولا تشغلى بالك يا روحى.. ولا تفورى دمك.. كل مشكلة.. ولها عند رقية حل!

أرجوكى.. ما تعرفيش لو استطعت إخراجى من هذا المأزق أنا هاعملك إيه.. وهاكفئك إزاي.

عيب يا حبيبتي.. هو احنا فيه بيننا واجب.. دى المسألة كلها حبي
لك.. ومرضاتك.. مصلحتك عندى أهم شىء فى الوجود.
هتعملى إيه يا رقية.. أفهم ماذا تنوين فعله بالضبط؟.

كل الحكاية.. عن طريق سكرتيرة زوجك هنعرف عنوان المحروسة
«سماح» المذكورة.. ونبدأ فى مراقبتها.. وتتابع خطواتها.. أين تذهب..
مع من تقضى أوقاتها.. هل هى متزوجة.. مطلقة أم ما هو وضعها
بالضبط؟

هو احنا وانا حاجة يا صديقتى العزيزة.. سماح هتبقى لعبتنا الأيام
القادمة.. وهنوصل من مراقبتنا لها إلى أى مدى وصلت علاقتها بزوجك..
وبناء عليه نتدخل.. فى الوقت المناسب لمنع حدوث الكارثة!!
لم تضيع الصديقتان وقتها هباء فبدأتا على الفور.. أمسكت نازك
بسماعة التليفون تطلب سكرتيرة زوجها «هدى».
آلو.. هدى!!

أهلا يا مدام نازك.. أهلاً وسهلاً.. إيه أخبار سيادتك؟.
أخبارى وأخبار زوجى كلها عندك.. وأكملت حديثها فى اضطراب
واضح.

إيه أخبار الست سماح اللى طلعت لنا فى البخت اليومين دول؟.
بتطلب البيه من وقت لآخر.. يافندم!!
طيب أنا عايزاكى تعرفى لى عنونها.. ساكنة فين وتتصنتى على
مكالتها مع البيه زوجى.. مفهوم!!
حاضر يا فندم.. سيادتك تأمرينى.
من النهاردة.. من دلوقتى.

أنا تحت أمرك.

ومن اليوم التالى.. بدأ الفريق النسائى المكون من الصديقتين نازك ورقية فى تنفيذ خطتهما للعثور على سماح المجهولة ١١
وكانت أول خطواتهما مراقبة هدى السكرتيرة لمكالمات إبراهيم بك وعميلته مدام سماح.

وقامت الصديقتان معاً بتحليل وتفصيل كل كلمة دارت بينهما.. ماذا تعنى تلك.. والمقصود من هذه.. حتى يحين الوقت واللحظة الحاسمة لتوجيه الضربة الأخيرة.. أو الضربة القاضية كما يطلقان عليها.

وبعد عدة أيام.. فوجئت نازك هانم بتليفون من هدى سكرتيرة زوجها. قالت لها سماح هانم اتصلت بالبيه.. اليوم.

هانم فى عينيك.. صرخت نازك فى وجهها قائلة.

أصبحت هانم.. كل من هب ودب يطلق عليه هانم.

واستطردت.. ها.. قالوا إيه فى التليفون. احكى لى بالتفصيل.

كانا يتحدثان معاً عن مناقصة.. من الواضح إن المدام هتساعد البيه

فى إرساء العطاء عليه فى هذه المناقصة.. يعنى المسألة.. مصلحة.

عموماً.. تقدرى تأخذى بالك.. ممكن تقدرى تأخذى بالك.. ممكن

أن تكون هذه المكاملة «تمويه».. فلا تنخدعى بسهولة.. وركزى فى

كلامهما جيداً.. وانقلبه لى بالحرف أوكى.. يا هدى؟

أوكى.. يا مدام.. مع السلامة.

وبمجرد أن أنهت نازك.. مكالمتها مع هدى.. طلبت صديقتها رقية

على الفور على التليفون.

آلوه.. رقية.

أيوه.. يا نازك.. خير.. حصل حاجة جديدة!!

رددت على مسامعها.. ما أخبرتها به السكرتيرة هدى.. فقالت لها رقية.

اصعدى إلى فى الحال.. حتى نقرر موقفنا وبناء عليه نبدأ الهجوم.
كانت الصديقتان تتحدثان كأنهما على وشك الدخول فى معركة
حربية.. وأنهما يعدان العدة والسلاح لاقتحام موقع المعركة.
وقامتا معاً بوضع بداية الخطة والتي اتفقتا فيها على مراقبة المدعوة
«سماح».

يومان.. واستطاعت نازك ورقية الحصول على عنوان سماح من
سكرتيرة إبراهيم بك زوج الست نازك.

وفى السابعة صباح اليوم التالى.. كانت الصديقتان تقفان أمام منزلها
داخل السيارة وقامتا معاً باداء الواجب وإعطاء بواب العمارة مبلغاً من
المال.. حتى يشير لهما على مدام سماح أثناء خروجها من الباب..
فيتعرفا عليها.

دقت الساعة التاسعة تماماً.. أطلت على عتبة العمارة فى طريقها
للخروج.. شابة هيفاء القوام.. شقراء البشرة شعرها الأصفر يتطاير
مسترسلاً فى الهواء من رقته ونعومته.. يحيط بوجهها الذى يشبه القمر
فى استدارته!!

نظرت إليها نازك.. فى غيظ شديد.. وظهرت علامات القرف
والامتعاض على ملامحها.

ثم قالت فى اشمئزاز وتعال.. وهى تطل من نافذة سيارتها المرسيديس
آخر موديل.

هى دى؟

ابتسمت رقية بخبث ابتسامة جانبية.. فهى على يقين من أن التى
ظهرت الآن.. لا يختلف اثنان على جمالها الباهر.. وشياكتها ورقتها.
ثم وجهت حديثها إلى صديقتها نازك والتى تجلس بجوارها
بالسيارة.. محاولة تهدئتها.. مش قوى.. لكن الرجالة كلهم كده.. يبقى
معاهم ست زى القمر.. وينظر ويبصص لأخرى.. صنف عايز النسف
من على وجه الأرض!!

ثم أعقبتها بضحكة لها مغزى.. وأكملت حديثها قائلة.. ولكن نعمل
إيه.. لا نستطيع الاستغناء عنهم.

مرت الهيفاء الجميلة أمام السيارة ثم قفزت إلى سيارتها بى ام آخر
موديل وانطلقت فى طريقها.. لاتنوى على سوء.. وأمسكت بالتليفون
المحمول فى إحدى يديها تجرى مكالماتها.

أسرعت نازك ورقية خلف سيارتها من شارع لآخر.. ومن منطقة إلى
ثانية.. وأعينهما تكادان تقفزان خارج مقليتهما.. حتى لا تفلت هذه
المرأة من مراقبتها.

وتوجهت الهيفاء الرشيقة بسيارتها فى اتجاه حى مصر الجديدة..
وأمام عمارة كبيرة أوقفت سيارتها.. أسرع عامل الجراج يرحب بها
مهلاً وهو يقول لها.. حمد لله على السلامة يا هانم.. ثم ظهر شخص
آخر.. تناول حقيبة سوداء خاصة بالأوراق من بين يديها.. فى احترام

واجلال كبيرين.. ثم توجهها إلى داخل العمارة وهو يفسح لها الطريق في احترام بالغ.

وبمجرد اختفاء سماح داخل العمارة قفزت الصديقتان من سيارتهما وبقوة المال استطاعتا شراء ذمة بواب العمارة ومعرفة كل شيء عن مدام سماح ففي العقار دوران هما مقر شركتها للاستيراد والتصدير وهي أرملة منذ سنتين بعد وفاة زوجها التي ورثت عنه هذه الشركة وغيرها من الممتلكات والأراضي.

وقع قلب نازك في قدميها بعد أن علمت أن هذه الجميلة غنية أيضًا بل وأرملة !!

إذن الطريق مفتوح أمام غريمتها للاستيلاء ببساطة على زوجها.. والانتصار عليها في الموقعة انتصارًا فادحًا.

عادت الصديقتان وهما يجران أذيال الخيبة ولكن لم تبح أى منهما للأخرى بما يدور في عقلها.

فرقية كانت ترى الموضوع بشكل مختلف بعد أن شاهدت البديهييات المطروحة أمامها.. والتي استطاعت أن تقدرها تمامًا.

كانت تقول لنفسها في حديث صامت.. إذا كانت نازك استطاعت أن توقع زوجها في فخ الزواج بالمال.. فهناك من يفوقها في هذا المجال.. شباب وجمال وجاه وعز.. فالمعركة خاسرة بالنسبة لنازك.. كان عقلها يذهب ويجيء في حيرة كبيرة يجول ويصول وتساؤلات ملحة تضغط على عقلها.. ما هي الخطة المناسبة لمواجهة مثل هذا المأزق؟ التي وقعت فيه صديقتها نازك؟.

أما نازك فكان فكرها شارد فى مكان آخر.. والغىظ والحنق يفتكان بها.. فهى تعرف إمكاناتها المحدودة شكلاً وموضوعاً.. فهى تعمل فى نفسها كل البدع لتظهر على قدر من الجمال المقبول!!

نظرت الصديقتان لبعضهما.. وكأنما استطاعت كل منهما قراءة ما يدور بعقل الأخرى.. وفجأة اندفعتا فى ضحكات هستيرية متواصلة.. حتى كادت عجلة القيادة أن تختل فى يد نازك وتتسبب فى حدوث كارثة.. فقامت بإيقاف السيارة على جانب الطريق حتى تتوقف نوبة الضحك التى أصابتها.

اقتрحت رقية على نازك التوجه إلى النادى لينالا قسطاً من الراحة ويتناولوا طعام الغداء.. ويتشاورا معاً فى هدوء بعد المجهود الذى بذلته فى اللف وراء السنيورة الشقراء فى الشوارع. ظلت نازك صامئة خلال تناولهما طعام الغداء.. ولم تنطق بكلمة واحدة.

حاولت رقية إخراجها من هذا الصمت القاتل.. لتفرغ ما بداخلها من شحنة الانفعالات والغضب.. ولكن محاولاتها باءت بالفشل فقررت الدخول بشكل مباشر فى الموضوع فكلتاها تعلم أنه الأساس فيما يشغل تفكيرهما الآن.

قالت رقية لصديقتها.. نازك.. أنا فكرت فى خطة جهنمية لطرده هذه المرأة من حياة زوجك.. وإلى الأبد!

أشرقت ملامح نازك ببوارد الأمل.. وتوقفت عن مضغ الطعام بطريقة آلية. وأنصتت لصديقاتها بترقب.. وقالت بسرعة.. فكرت فى إيه؟

سوف نقوم بنشر شائعة فى النادى.. وبين الموظفين فى شركة زوجك وشركة سماح.. وعند الكوافير الذى يصفف شعرها.. أن هناك علاقة عاطفية تربط بين زوجك وبينها وباعتبارها سيدة أعمال.. كل رأسمالها سمعتها فى السوق.. وعلاقتها بعمالها ستتأثر من جراء ذلك.. فستقوم على الفور بالانسحاب من حياة زوجك تفادياً للفضائح التى ستقع على رأسها.. اتسمعت عينا نازك.. وأطل بريق يؤكد على اقتناعها بالفكرة وموافقتها عليها.

أيام.. وانتشرت الاشاعة كالنار فى الهشيم وأصبحت سيرة سماح على كل لسان.. وترامى إلى سمعها بأن زوجة إبراهيم بك وراء كل شىء.. فقررت مقاطعة التعامل مع شركته.

كانت فرحة نازك لتلك النتيجة لا تعادلها فرحة.. بعد أن انتصرت على غريمتها انتصاراً هائلاً.

وأقامت حفلة كبيرة بمنزلها احتفالاً بهذا الانتصار مع صديقتها الحميمة «رقية».. توافدت الصديقات والأصدقاء.. إلى الحفل.

كانت السعادة تعم المكان.. والضحكات تتناثر هنا وهناك.. وإذا بزوجها إبراهيم بك يقف فى وسط الناس مكشراً عن أنيابه كأسد هائج. سألته بدهشة.. ماذا بك؟

مش عارفة إيه اللى حصل.. بتحتفلى بخراب بيتى وشركتى.. بعد أن تسببت برعونتك وغيرتك العمياء فى ضياع أكبر مناقصة لشركتى.. إنتى لا تصلحى أن تكونى زوجة.. إن سماح ليس بينى وبينها أى علاقة سوى العمل.. مصالح فقط وكانت هى اليد القادرة على إرساء عطاء تلك المناقصة على شركتى.

خلاص.. راحت فى ستين داهية.. زعلان علشانها ولا إيه؟
أنا زعلان على ثقتى فىك كزوجة طوال سنوات طويلة قضيناها معاً..
وأكمل فى إصرار وتصميم.
ولهذا فأنت طالق.. طالق.. طالق بالثلاثة.



انسحاب

دق جرس التليفون.. آلو.. مين.. أمل.. مش معقول.. متى عدت من السفر؟

حالا.. وقبل فعل أى شىء طلبتك لأسمع صوتك.. فأنا أفتقدك للغاية.. وحشتيني يا مها.

وأنتى أكثر. أريد رؤيتك حالا.

ولكنى متعبة جداً.. وبمجرد استيقاظى من النوم.. ستجديننى أمامك بشحمى.. ولحمى.

كانت الفرحة تطل من صوت مها.. وعلى الفور بدأت فى ترتيباتها لاستقبال صديقة عمرها وتوأم روحها أمل.. توجهت إلى المطبخ لعمل الأكلة المفضلة لها.. «الفتة بالموزة» والفرحة تملأ قلبها.. حتى أولادها.. انتقلت إليهم تلك المشاعر بعد معرفة خبر وصول صديقة أمهم الوحيدة.. من السفر.. وشريكها أيام وسنوات الطفولة والشباب.

مر الوقت سريعاً.. فلم تشعر مها.. وهى تغدو ذهاباً وإياباً.. تحضر هذا.. وتستعد لذاك.. لاستقبال الضيفة العزيزة.

وفى المساء.. كان الجميع يتربعون قدومها.. وفجأة.. دق جرس الباب.. تجمع الكل أمام الباب.. وقفت أمامهم.. قالت بطريقة مسرحية مرحلة.. أنا هنا.

استقبلتها الأحضان.. والقبلات.. والدفع.. أسرع الأولاد يدورون حولها وهم يصيحون طنط أمل جاءت.

أخذت أمل تبحث.. أين أمكم؟
أندفعت داخل المنزل.. تصيح.. يا مها.. يا مها.. أين أنت؟
خرجت إليها من المطبخ مندفعة فى شوق كبير قائلة.. أمل..
حبيبتي.. وحشتينى.. وحشتنى.
أصبحت الصديقتان أمام بعضهما وجهًا لوجه.
كانت مشاعر حب دافئة.. عميقة تلفهما.. وتحيط بهما وفى لحظات
تحول المكان إلى صخب وهرج. ومرج.. وكأن فرحًا مقامًا به.
جلست أمل بالقرب من مها.. وأيديهما ممسكة ببعضهما.. كأنهما
يخشيان الفرار من بعضهما والابتعاد مرة أخرى.
تفحصت أمل مها ونظرت فى وجهها.. فتسلل خوف وألم إلى
نفسها.. تساءلت مع نفسها.. ماذا حدث لها.. أهذه مها الفتاة الشابة
الجميلة.. أين ذهبت إشراقها وحيويتها.. ما الذى أراه أمامى بقايا
امرأة.. لقد نضب شبابها.. ما سر هذا التحول الغريب.. إننى لم أبتعد
عنها سوى سنتين فقط.. وهما ليستا بالكثير.. أمن الممكن أن تفعل بنا
الأيام هذا.. أم أن مها هى من تنسحب من الحياة رافضة إياها؟
أطل السؤال على لسان أمل. فلم تتراجع أو تتردد فى طرحه على
صديقتها.. قالت.. ماذا فعلت بنفسك؟ لماذا تسحقين نفسك هكذا.. إن
شبابك مازال فى عزه.. ولكنك تسمحين له بالتسلل من كيائك!
ردت مها فى استسلام.. الأولاد والمسئولية.
ليس هناك بجديد.. فالإنسان خلق فى هذه الحياة ليتحمل مسئولية
ما.. ويترك أثرًا فيها.. ولكن لا يعنى ذلك أن نتركها تستهلكنا..
وتتغلب علينا.. ولا نقاومها.

قالت لها.. لماذا اخترت الانسحاب والاستسلام لتبعاتك ومسئوليتك؟..
وأردفت قائلة.. لم أعرفك يوماً ضعيفة متهاكة متهاكة هكذا كما أراك
الآن. فقد غالبت الأيام وتفوقت عليها فى أكثر من موقع.. ونفسك..
وكيائك هى أهم المواقع التى يجب أن تدافى عنها باستماتة!!
يجب أن تشعرى بقيمتك بذاتك فى هذا الخضم.. واجهى.. لا تنزلقى
إلى متاهات الهموم.. حتى لا تبتلعك.. واسعى لتستعيدى حماسك..
المفقود.

أطل بريق أخاذ فى عيني مها.. وهى تستمع إلى كلمات صديقتها
ومراتها.. أمل.. فأضاء وجهها بنور أظهر روحها.. واسترجع لمحة من
جمالها وبدل ملامحها.. فأصبحت أكثر شباباً وحيوية.. قالت بإصرار..
عندك حق.. كم كنت أحتاج كلماتك.. تلك!!



المؤلفة

حاصلة على ليسانس الآداب قسم فلسفة.
تمهيدى ماجستير كلية إعلام جامعة القاهرة.
دراسات حرة فى النقد والدراما.
التحقت بجريدة الأخبار كصحفية منذ عام ١٩٨٧.
عضو اتحاد كتاب لمدة ٢٠ عامًا.
لها مؤلفات عديدة أهمها:

- ضمائر تائهة (رواية).
- لا تعبث بى أيها الرجل (مجموعة قصصية).
- كتاب (الخلع).
- كتاب (الزواج العرفى).
- كتاب (المرأة المصرية إلى أين).
- كتاب (مليونيرات الناصرية) سياسى.
- كتاب (فى بيتنا قاتل تحت التعرين).
- وغيرها من المؤلفات الاجتماعية والسياسية.

وفى هذا الكتاب تتناول المؤلفة فى مجموعتها القصصية برلمان الحريم حالات منفصلة ومختلفة من القضايا الاجتماعية الحياتية الملحة وبعض المشاكل الاجتماعية والظواهر السلبية فى المجتمع المصرى تعالجها المؤلفة فى أسلوب نقدى ساخر فى محاولة لطرح الحلول بشكل غير مباشر.

الفهرس

٣	اهداء.....
٤	المقدمة.....
٦	لمس الحرير.....
١١	وكانت الأولى.....
٢٣	البراميل.....
٢٨	الاسانسير الكبير.....
٣٣	هل الموت حقا يحب الحياة.....
٤١	تجربة واحدة تكفى.....
٤٦	ليلة الزفاف.....
٥٢	أمى تليفون.....
٥٦	برلمان الحرير.....
٧٠	انسحاب.....

٢٠١٣ / ١٥٧٠١	رقم الإيداع
ISBN 978-977-02-7849-9	الترقيم الدولي

١ / ٢٠١٣ / ٤٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)